

**البعد المكاني وتنوعه في رواية شقة الحرية لغازي
القصيبي**

إعداد

د/ هدى حلمي ابوالمجد الجندي

أستاذ مساعد الأدب والنقد قسم اللغة العربية وآدابها ،
كلية العلوم والآداب بالبحيريت ، جامعة القصيم ،
المملكة العربية السعودية

البعد المكاني وتنوعه في رواية شقة الحرية لغازي القصيبي

هدى حلمي ابو المجد الجندي

قسم الأدب والنقد، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية العلوم والآداب بالبيكيرية

جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: ahoda56@gmail.com

الملخص:

قامت الدراسة على التعريف بمصطلح المكان، وهو من المصطلحات التي اشتملت على مفاهيم متعددة ومتنوعة، ولم يحدد له معنى اصطلاحي لاختلاف النقاد حول دلالاته، واستعرضت أيضاً بعض المصطلحات التي تشاركه المفهوم كالفضاء والحيز، وتناولت أهميته ومكانته في الرواية، فهو كالمسرح الذي تجري عليه أحداث الرواية، وتأخذ شخصياتها منحاً فيها.

وقد وجدت ثمة علاقة واضحة بين المكان والشخصية، والسرد، والوصف، واللغة، ولهذا نجد الروائيين يتفاوتون في مدى احتفالهم بالمكان، لا بمعنى غيابه، فمن المحال غيابه عن العمل الروائي؛ وذلك لأن التحديد المكاني بشتى صورته ضرورة من ضروريات العمل الروائي، فهو عنصر هام من عناصر مقومات الرواية، وله الحظ الوفير في البناء الفني والجمالي لها، أما الجانب التطبيقي للدراسة فكان للحديث عن المكان ودوره في رواية من الروايات السعودية للكاتب غازي القصيبي الشاعر والأديب، وليس هذا فحسب فهي أول أعماله الروائية، وتشبه السيرة الذاتية.

وكانت من أهم النتائج :

- حظي المكان كعنصر من عناصر الرواية باهتمام الروائي غازي القصيبي، فهو يراه كواقع حقيقي، وكبناء فني، على امتداد مساحة الرواية.
 - تنوع المكان في الرواية بين أمكنة مفتوحة كنهر النيل، والحدائق، والقاهرة، وأماكن مغلقة اختياريًا كغرف الأصدقاء وشقة الحرية، وأمكنة شبه مغلقة كالمدرج والفصل، والمقهى الشعبي، والسيارة، وأماكن مغلقة إجباري كالسجن، العنبر في المستشفى، المدفن.
 - استأثرت بعض الأمكنة باهتمام الكاتب كنهر النيل، شقة الأصدقاء الذين أطلقوا عليها شقة الحرية، والقاهرة التي لها حضور دائم في معظم الرواية.
- الكلمات المفتاحية: المكان، الرواية، شقة الحرية، الفضاء، الحيز، البعد، غازي القصيبي.

**The spatial dimension and its diversity in the novel Freedom
Apartment by Ghazi Al-Gosaibi**
Hoda Helmy Abu Al-Majd Al-Jundi
**Department of Literature and Criticism, Department of Arabic
Language and Literature, College of Science and Arts in Al-
Bukayriyah**
Qassim University, Kingdom of Saudi Arabia
Email: ahoda56@gmail.com

Abstract:

The study was based on identifying the term place, which is one of the terms that includes multiple and diverse concepts, and no terminological meaning was defined for it due to the differences of critics over its concept. It also reviewed some terms that indicate its sharing of meaning, such as space and space, and discussed its importance and place in the novel, as it is like the theater on which events take place. The novel, and its characters take their direction in it.

I found that there is a clear relationship between character and place, narration and place, description and place, language and place, and for this reason we find novelists varying in the extent of their celebration of place, not in the sense of its absence, for it is impossible for it to be absent from the work of fiction, because spatial definition in all its forms is one of the necessities of the work of fiction. An important element of the components of the novel, and he has great luck in the artistic and aesthetic construction of it. As for the practical aspect of studying the place and its role in a Saudi novel by the writer Ghazi Al-Gosaibi, the poet and writer, and not only that, it is his first novel work, and it resembles an autobiography.

Among the most important results were:

- Place, as an element of the novel, received the attention of the novelist Ghazi Al-Gosaibi, as he sees it as a real reality, and as an artistic construction, throughout the space of the novel.
- The diversity of place in the novel between open places such as the Nile River, the gardens, and Cairo, and optionally closed places such as the friends' rooms and the freedom apartment, and semi-closed places such as the amphitheater, the classroom, the popular café, and the car, and obligatory closed places such as the prison, the ward in the hospital, and the cemetery.
- Some places captured the writer's interest, such as the Nile River, the apartment of friends who called it the Freedom Apartment, and Cairo, which has a constant presence in most of the novel.

Keywords: place, novel, freedom apartment, space, space, dimension, Ghazi Al-Gosaibi.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد صل الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعه ليوم الدين.. وبعد ...

تُعد الرواية من أهم الفنون النثرية ازدهاراً وانتشاراً في العصور الأدبية عامة، وفي العصر الحديث خاصة عند الغرب والعرب.

وقد مرت الرواية بمراحل تطور وازدهار حتى وصلت على ما هي عليه الآن، فهي جنس أدبي وَقَدَّ على الأدب العربي في عصر النهضة، أما عن الرواية السعودية فقد سعى الروائيون السعوديون لبذل جهد عظيم في سبيل تطوير الرواية السعودية في الأدب العربي.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى:

مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع.

تحتوي مقدمة البحث على:

خطة البحث، ودوافعه، أهميته، أهدافه، منهجه، الدراسات السابقة.

التمهيد: يشمل على نبذه عن التعريف بالكاتب غازي القصيبي، والتعريف بالمكان لفة واصطلاحاً، والمصطلحات الدالة عليه،

وأبعاده، وأهميته، ثم أهمية المكان في الرواية السعودية.

المبحث الأول: أنواع الأمكنة في رواية "شقة الحرية".

المبحث الثاني: انعكاسات المكان على عناصر الرواية .

الخاتمة: انتهى البحث بخاتمة تحوي النتائج والتوصيات، ويليهما ثبت

المراجع والمصادر .

دوافع البحث:

يأتي الدافع في دراسة البُعد المكاني وأثره على مقومات الرواية، وخاصة في رواية الكاتب غازي القصيبي "شقة الحرية" وهي أولى رواياته التي كُتبت عام ١٩٩٤م، دون الوقوف على الخوض في دراسة باقي مقومات الرواية.

وتُعد تلك الرواية من روايات السيرة الذاتية، والتي تنصب الذات الكاتبة مرجعاً للنص.

بالإضافة إلى رغبتني في دراسة النصوص السردية دراسة علمية، وكذلك دراسة ما تميز به الأدب السعودي بتنوع التجارب الروائية، ومواكبة إظهار السلبيات والإيجابيات.

أهمية البحث:

تكمن في محاولة استكشاف تنوع المكان وأهميته في بناء الرواية، وأثره على مقوماتها، وتبرز أهميته في دراسة نموذج من نماذج الرواية السعودية، وهي رواية "شقة الحرية" فقد ظهرت في حقبة زمنية تُشكل مرحلة من مراحل تطور الرواية السعودية لكاتب من الكتاب السعوديين يجمع ما بين كتابة الشعر، والروايات، والمقالة ببراعة وتمرس.

أهداف البحث:

دراسة البعد المكاني وأثره، والكشف عن تنوعه ووظيفته، مع التطبيق على أول وأهم رواية من روايات الكاتب غازي القصيبي.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي الذي يقوم على التحليل، واستقصاء أشكال البعد المكاني.

الدراسات السابقة:

لم أقف - على حسب ما اطلعت عليه - على بحث يتطابق مع عنوان البحث، فقد تناولت الدراسات السابقة أساليب السرد، وهي دراسات تناولت

الكاتب غازي القصيبي على وجه الخصوص، ووقفت نفسها على معالجة رواياته ككل، ونشرت في كتب أو مجلات دورية.

أما "الرواية عند غازي القصيبي دراسة نصية" رسالة ماجستير، عيضة بن محمد بن خضر القرشي، فقد اهتمت بدراسة النتاج الروائي للكاتب غازي القصيبي، والوقوف على أهم المضامين التي اشتمل عليها النص السردي، ومقاربة التقنيات الفنية التي لجأ إليها النص في إنتاج دلالاته.

وهناك دراسة عن "الرمز في شقة الحرية" وقد تناولت الرمز ودوره في أحداث الرواية، والصراعات السياسية والشهوة الجنسية لدى الأبطال. وعلى الرغم من الجهد الواضح في تلك الدراسات، إلا أنني لم أجد بحثاً اختص بدراسة البعد المكاني في رواية "شقة الحرية" على وجه الخصوص..

التمهيد

أولاً: التعريف بالكاتب:

هو شاعر وأديب سعودي له العديد من المؤلفات الأدبية المتميزة، والتي جعلت منه أحد أهم الكتاب السعوديين، ولد في الثاني من مارس عام ١٩٤٠م، بالأحساء والتي انطلق منها لأكثر من عاصمة بداية بالمنامة - البحرين - التي درس بها مراحل تعليمه الأولى، ثم انتقل إلى القاهرة لدراسة الحقوق، ومن ثم الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة جنوب كاليفورنيا، أما الدكتوراه فكانت من جامعة لندن حول حرب اليمن.

ووصف غازي طفولته بالكثيية حيث توفيت والدته وهو رضيع، ثم تناوب على تربيته جدته اللينة ووالده الصارم^١، فعاش بين قطبين متعاكسين، مما كان له تأثيراً إيجابياً على مسيرته المهنية بعد ذلك.

كان غازي منذ نعومة أظفاره أكثر أخواته حباً للعلم وإقبالاً عليه، بالرغم من ثراء أسرته، ونفوذ والده التجاري من الإقبال على التحصيل العلمي والاضطلاع الثقافي منذ أن كان صغيراً مراهقاً^٢.

وكان يغلب على غازي القصيبي في صغره الكآبة والعزلة، إلا أنه غادر المدرسة بعد ست سنوات صيباً متحرراً من ذلك وأصبح محاطاً بمجموعة من الأصدقاء^٣.

أكمل غازي دراسته الثانوية بالبحرين، وكان متفوقاً معروفاً ببراعته وذكائه، وقد تنبأ له أساتذته بأنه سيكون من الأدباء المتميزين في مستقبله^٤.

١ غازي عبد الرحمن القصيبي، حياة في الإدارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ٢٠٠٦م، ص ١٢.

٢ أدباء خليجيون مميزون . غازي القصيبي . مكي محمد سرحان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط ١ ١٩٩٨م، ص ١٥.

٣ حياة في الإدارة، غازي القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ١٨.

٤ أدباء خليجيون مميزون، ص ٢٣.

ثم انتقل غازي إلى مدينة القاهرة لإتمام دراسته، فكان عليه أن يواجه الغربية بمفرده، وكانت القاهرة بالنسبة له أشبه بصدمة حضارية غير متوقعة^١.

حصل القصيبي على شهادة التوجيهي من مدرسة السعيدية بالقاهرة عام ١٩٥٧م، وفي عام ١٩٦١م نال شهادة الحقوق^٢ من جامعة القاهرة^٣. عاد القصيبي عام ١٩٦١م إلى الرياض بالمملكة العربية السعودية بعد تخرجه وحصوله على شهادة جامعية في وقت كانت الشهادات الجامعية نادرة في المملكة، ولاسيما شهادة القانون بشكل خاص، وفي ذلك الوقت كان طموح القصيبي هو تكملة مسيرة العلم والشهادات العليا^٤.

رفض قبول الوظائف التي عرضت عليه في تلك الفترة، لرغبته في إتمام الحصول على الشهادة العليا، ولخشيته في أن قبول أي وظيفة سوف يؤدي إلى ارتباط يستحيل فكه فيما بعد^٥.

كان لحياة القصيبي في الولايات المتحدة الأمريكية أثر ووعي إداري لم يكن يعرفه من قبل، فقد استفاد من الإقامة فيها فكرياً وثقافياً^٦.

وعندما تولى عمادة كلية التجارة تبلورت ملامح أسلوبه في الإدارة، وكان أكثر عمل أتعبه في حياته بسبب كثرة المسؤوليات على العميد، وزاد

١ أدباء خليجيون مميزون ، ص ٢٣.

٢ صادف وجود خطأ في كتابي في اسمه واستغرق فترة في تصحيحه بمساعد أحد زملائه الذي كان يعرف سكرتير العميد في ذلك الوقت، حياة في الإدارة، ص ٢٢، ٢١.

٣ ينظر: أول رواية للقصيبي، غازي عبد الرحمن القصيبي، مكتبة عبيكان، الرياض ٢٠٠٧م، ص ٦٢.

٤ حياة في الإدارة، ص ٢٤.

٥ حياة في الإدارة، ص ٢٤، ٢٥.

٦ المرجع السابق، ص ٢٧.

الأمر صعوبة أنه كان يتعامل مع من هم أكبر منه سناً وأرقى درجة علمية مما جعله يحارب على أكثر من جبهة^١.

رجع القصيبي إلى طلبته بعد انتهاء فترة العمادة، وبدأ بكتابة حلقات أسبوعية في جريدة "الجزيرة"، ومع رجوعه إلى التدريس واجه خلافاً في الآراء مع زملائه في تفاصيل إدارة القسم إذ كان متأثراً بنظام الإدارة في الولايات المتحدة، فقد حاول تطبيق بعض من الأساليب الإدارية في المملكة إلا أنه كان يصطدم بالواقع واختلاف آرائه مع زملائه.

وقد تبني فكرة إنشاء مركز لدراسات الخليج إدراكاً منه لأهمية الخليج المتزايدة في السياسة الخارجية السعودية، وطرح كذلك العديد من الأفكار والمشاريع الجديدة إلا أن معظمها لم تُنفذ، وذلك كون معظم زملائه كانوا يتخوفون من نزعاته وأفكاره التي كانوا يرون فيها أنها تستهدف تشويه نقاء الجامعة وتحويلها إلى ما يشبه الورشة^٢.

ومن المحطات الهامة أيضاً في حياة غازي الإدارية، عندما تولى منصب مدير عام مؤسسة السكة الحديد، فبدأ عهده في المؤسسة بقرار أدهش بعض موظفيها، فقد قرر أن يسافر من الرياض إلى الدمام بالقطار، لأنه في تصوره من الطبيعي أن يسافر الرجل الذي أصبح مسئولاً عن القطار في قطاره، لكي يرى عن كثب كيف تعمل المؤسسة على أرض الواقع على حد قوله "تعلمت من تلك الرحلة الواحدة ما لم يكن بوسعي أن أتعلمه من قراءة ألف تقرير"^٣.

١ حكاية اسمها غازي القصيبي، كمال عبد القادر، دار مدارك للنشر ط ٢٠١١م، ص ٦٢.

٢ حياة في الإدارة، ص ٩٦، ٩٧.

٣ شخصيات قيادية غازي القصيبي الإداري القائد، أمل الحمدان، وفدوى العساف، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، ص ٧.

وعندما تولى القصيبي وزير الصناعة والكهرباء كان أول من وضع خطط التصنيع ومشاريع البتروكيماويات، والاستفادة من الغاز الطبيعي (المهدر) لسنوات طويلة، تمثلت تلك المشاريع في مصانع الجُبيل، وينبع، وإنشاء عملاق الصناعة السعودية "سباك" في السنوات الثلاث الأولى على تولى وزارة الصناعة والكهرباء^١.

وفي وزارة الصحة عندما تولاها قام بإنجازات عديدة منها بناء المستشفيات، وتطوير الخدمة الصحية، وكان أول وزير يضع خطأً مباشراً من مكتبه لتلقي شكاوى المراجعين من المستشفيات والعيادات الطبية^٢.

وكذلك تولى وزارة المياه والكهرباء، وكان أول وزير لها، ولا يمكن إنكار دوره البارز في التطوير ونظرته المستقبلية للأجيال الجديدة في قوله "أننا بوصفنا بلداً شحيح المياه أمطاراً وأنهاراً، فإنه يجب أن تكون لدينا حالة طوارئ دائمة لإبقاء شيء من المياه للأجيال القادمة"^٣.

ومن الجدير بالذكر أن القصيبي في آخر ٣٠ سنة من حياته عمل بلا أجر، فقد حوّل رواتبه إلى جمعية الأطفال المعاقين^٤.

ولم تقف مجهوداته بعد إعفائه من منصب الوزير، فقد أكمل مسيرته في الإنجازات عندما أصبح سفيراً في البحرين ومن ثم بالولايات المتحدة الأمريكية، فكان صاحب دور في التعامل مع المواقف والأزمات المتعلقة بالقضايا الإسلامية والعربية والإقليمية، ومنها موقفه في التعامل مع حرب

١ غازي القصيبي، معتصم السدمي، مجلة المبتعث، ٢٠١٠م، العدد ١٩١، ص ١٥.

٢ المرجع السابق، ص ١٥.

٣ قراءة في جوانب الراحل د. غازي القصيبي الإنسانية، حمد بن عبد الله القاضي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط ٤ الرياض ٢٠١٣م، ص ٢٠.

٤ شخصيات قيادية غازي القصيبي الإداري القائد، ص ١٤.

الخليج الأولى، التي مُنح على أثرها جائزة من دولة الكويت، وأيضاً من الملك عبد العزيز وعدداً من الأوسمة الرفيعة من دول عربية وعالمية^١. وكان للقصيبي مواقف واضحة تجاه القضية الفلسطينية، فقد خاطب بصيغة قوية أعضاء مجلس نواب اليهود البريطانيين قائلاً "عندما يكون لدى مجلس الموظفين البريطانيين اليهود الشجاعة الأخلاقية بالإشارة لهؤلاء الإرهابيين على أنهم إرهابيون والإشارة لأفعال الحكومة الإسرائيلية في جنين على أنها جرائم حرب فسأكون أكثر من مستعد لتعديل آرائي بشأن مقاتلي الحرية الفلسطينيين"^٢.

ومما سبق يمكن إجمال المناصب التي تولاها غازي من حيث بدايته مهنيّاً ككاتب صحفي، ومُعد لبرنامج تليفزيوني أسبوعي، وتقلد العديد من المناصب بداية من:

- أستاذ مشارك في كلية التجارة بجامعة الملك سعود في الرياض عام ١٩٦٥م.
- مستشار قانوني في مكاتب استشارية، وفي وزارة الدفاع والطيران ووزارة المالية ومعهد الإدارة العامة كذلك.
- عميد كلية التجارة بجامعة الملك سعود عام ١٩٧١م.
- مدير المؤسسة العامة للسكك الحديدية عام ١٩٧٣م.
- وزير الصناعة والكهرباء عام ١٩٧٦م.
- سفير المملكة في مملكة البحرين عام ١٩٨٤م.
- سفير المملكة في المملكة المتحدة عام ١٩٩٢م.
- وزير المياه والكهرباء عام ٢٠٠٣م.
- وزير العمل عام ٢٠٠٥م، وحتى وفاته.

١ شخصيات قيادية غازي القصيبي الإداري القائد ، ص ٩.

٢ المرجع السابق.

مؤلفاته الأدبية:

مما لا شك فيه أن شهرة غازي انتشرت في الآفاق العربية بعد أن ألف مجموعة من المؤلفات الشعرية والنثرية في العديد من الموضوعات الأدبية والاجتماعية، فقد بدأ عهد الكتابة في الصحافة بجريدة الحائط، وكان المقال عن المتنبي، وكان غازي في الرابعة عشر من عمره، ثم بعدها بعام كتب مقاله الثاني في مجلة المدرسة المطبوعة، وكان المقال عن أضرار التدخين، ثم توقف عن الكتابة لانشغاله بالدراسة، ولم يعد إليها إلا بعد حصوله على درجة الماجستير فبدأ النشر في جريدة "الأضواء" البحرينية بعنوان "كلمات"، ثم تحدث بنفس الجريدة عن أوضاع العالم العربي السياسية وكانت تحت عنوان "بلا انفعال"، وبعد أن نال درجة الدكتوراه بدأ المساهمة في يوميات جريدة "الرياض"، ونشر عدد من الكتابات فيما بعد في كتاب بعنوان "عن هذا وذاك"، وكذلك كتب في مجلة "اليمامة" في زاوية تحت عنوان "رأيي المتواضع"، وقد جمع تلك المقالات في كتاب يحمل نفس العنوان^١.

وعن مؤلفاته الشعرية: فقد ظهرت موهبته الشعرية في وقت مبكر من حياته، لعل قراءته للشعر في سن التاسعة وإلقائه الأشعار في المناسبات المدرسية^٢، كان له أكبر الأثر في كتابته للشعر وهو في سن الرابعة عشرة، حين نظم أولى محاولاته الشعرية ونشرها عام ١٩٥٤ تحت اسم مستعار^٣، في مجلة المصور المصرية، وكذلك استمر النشر في جريدة الوطن ومجلة صوت البحرين تحت الاسم المستعار.

١ أدباء خليجيون مميزون . غازي القصيبي، ص ٣٦، ٣٢.

٢ حكاية اسمها غازي القصيبي، ص ٣١.

٣ السبب في نشره تحت اسم مستعار لتأثره بموقف مجلة المصور المصرية عندما أرسل قصائد لنشرها بالمجلة بالصفحة التي كان يحررها الشاعر صالح جودت، إلا إنه فوجئ برده (إن قصيدتك تدل على موهبة ولكنك لا تزال برعماً)، فقرر اختيار اسم مستعار، وظل ينشر تحت الاسم المستعار إلى عام ١٩٥٨م، ليبدأ بعد ذلك النشر

والقارئ لشعر غازي القصيبي يجد تنوعاً في موضوعاته وأغراضه، سواء أكانت قصائد سياسية، أم وطنية، أم حماسية، أم غزلية، أم اجتماعية، أم في الرثاء كرتائه لجده أو والده، أو لنفسه في قصيدة "حديقة الغروب" التي رثا نفسه فيها بعد أن بلغ الخامسة والستين، عندما أيقن أنه مفارق ظهر الأرض بعد معرفته لمرضه، وقد نشرت تلك القصيدة في كافة وسائل النشر بعد وفاته^١.

وكتب في أدب الرحلات: العودة سائحاً إلى كاليفورنيا ١٩٩٧. وفي المختارات والفكاهة: في خيمة شاعر ١٩٨٨، الإلمام بغزل الفقهاء ١٩٩٦، استجواب ١٩٩٦، واستراحة الخميس ٢٠٠٠ وله في الترجمة: العلاقات الدولية، ١٩٨٤، المؤمن الصادق ٢٠١٠ وكلاهما من الإنجليزية^٢.

كان يُطلق على غازي القصيبي سندباد الشعر السعودي الحديث؛ فقد استطاع أن يترجم بعضاً من أشعاره إلى اللغة الإنجليزية من خلال ديوانه المسمى (الشرق والصحراء، حيث استطاع من خلال الترجمة الوصول إلى قراء الإنجليزية، وقد نال شعره الانتشار الواسع بين القراء ودليل على ذلك ديوانه (معركة بلا راية).

ومن أهم إصداراته في الشعر: قطرات من ظمأ ١٩٦٥، معركة بلا راية ١٩٧١، أنت الرياض ١٩٨٠، الحمى ١٩٨٣، العودة إلى الأماكن القديمة ١٩٨٥، ١٠٠ ورقة ورد ١٩٨٦، ورود على ضفائر سناء ١٩٨٧،

=

باسمه الحقيقي. المصدر السابق، ص ٣٧، سيرة شعرية، غازي القصيبي، تهامة للنشر والمكتبات، ط ٣، ٢٠٠٣م، ص ٢٤.

١ حديقة الغروب، غازي القصيبي، ط ١، العبيكان ٢٠٠٧م، حكاية اسمها غازي القصيبي، ص ٧٩.

٢ غازي القصيبي القامة الفكرية والأدبية والإدارية الكبيرة، عبد المجيد إبراهيم قاسم، مجلة الراقد الإلكترونية.

المجموعة الشعرية الكاملة ١٩٨٧، مراثية فارس سابق ١٩٩٠، سحيم، مطولة شعرية ١٩٩٦، يا فدى ناظريك ٢٠٠١، قراءة في وجه لندن، ٢٠٠٢، عقد من الحجارة ٢٠٠٤، حديقة الغروب ٢٠٠٧، ومجموعات شعرية أخرى^١.

كما كتب الأديب المبدع بعض القصائد الرائعة للأطفال، كالحكاية الشعرية: "مُهر الرياح"^٢.

مؤلفاته الروائية:

للقصبي العديد من المؤلفات الروائية كانت أولها وأشهر أعماله "شقة الحرية" التي تدور حول قصة من الشباب مختلفي التوجهات والأفكار يسكنون في مدينة القاهرة أثناء الدراسة الجامعية، وهي تناولت تفصيلاً حالة الشباب العربي، وحالة التيارات الفكرية في الفترة الملتهبة بين عامي ١٩٤٨، ١٩٦٧م، وفي الشقة يطوف الرمز وتخرج الشخصيات من أسمائها، والرواية مساحة فكرية تنقل فيها القصبي من الغزل والسياسة إلى المناخ الثقافي والفني يعيش فيها مع أبطال باعتبارهم أبطالها^٣.

وأيضاً مؤلفاته الروائية: دنسكو، سعادة السفير، أبو شلاخ البرمائي، العودة سائحاً إلى كاليفورنيا، العصفورية، سبعة، سلمي، الجنية، هما، حكاية حب، رجل جاء وذهب، بيت، أقصوصة الزهايمر.

ومن إسهاماته في مجال النقد: دراسة خاصة للشاعر "إبراهيم ناجي" بعنوان (مع ناجي ومعها)، والتي تناولها كإطار حوار بينه وبين صغيرته، وتقوم على النقد التذوقي الانطباعي الذي يبيث انعكاس بعض الأبيات

١ المرجع السابق.

٢ شعر الأطفال في الوطن العربي دراسة تاريخية نقدية، بيان الصفدي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٤٣٩.

٣ شقة الحرية، غازي القصيبي، الرياض الرئيس للكتب والنشر ط٥ ١٩٩٩م.

المختلفة من شعر ناجي، ويُعد ناجي للقصيبي الشاعر النموذجي في مجال الرومانسية والحب؛ إذ كان يُعبر عن تناقضات الحب الحزين لذلك خصص له هذه الدراسة، فيقول "شعر ناجي قريب من قلبي لهذا السبب أحس عندما أقرأه أنه يتحدث عن حبي أنا.. عن سعادتني أنا"^١.

وكتب في مجال المذكرات والسيرة: سيرة شعرية ١٩٨٤، حياة في الإدارة ١٩٩٩، الذي يعدّ توثيقاً لسيرته الإدارية وكفاحه الإداري منذ أن كان معيداً في الجامعة وحتى تعيينه سفيراً في لندن، ويعتبره الكثيرون من الكتب النادرة في هذا المجال، أما الوزير المرافق فقد قدم فيها سيرته الدبلوماسية الشخصية لسنوات حياته في وزارتي الصناعة والكهرباء والصحة، من خلال عمله في بعض الأحيان مرافقاً للملك وولي العهد في زياراتهم الرسمية إلى جانب مرافقة رؤساء الدول والحكومات^٢.

وأما في مجال البحث: فقد أُلّف كتاب "التنمية والأسئلة الكبرى"^٣، وفي اتجاهه الفكري السياسي كان كتاب أمريكا والسعودية^٤.

ومن الملاحظ أن بعض أعماله سببت له الكثير من الحرج والمواجهات، فنجده يُحاور نفسه بين الحين والآخر على إصرارها على إثارة

١ مع ناجي ومعها، غازي القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٩٩م، ص ١١، ١٠.

٢ سيرة ذاتية روائية، ضياء عبد الله خميس الكعبي، صحيفة أخبار الخليج، العدد ١٣١٤١٣، ديسمبر ٢٠١٤م.

٣ التنمية... الأسئلة الكبرى، غازي عبد الرحمن القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٢م، ص ١٢٦.

٤ أمريكا والسعودية، غازي القصيبي، حملة إعلامية أم مواجهة سياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ٢٠٠٢م.

المتاعب، وهكذا تحددت ملامح شخصية غازي القصيبي التي نتعامل معها من بين تلك الشخصيات الفريدة التي يتميز بها^١.

ومن كتبه: (ثورة في السنة النبوية، حتى لا تكون فتنة، وفي رأيي المتواضع، عن قبيلتي أحدثكم، من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون)^٢.

ومما سبق فقد تبين تنوع مؤلفات ونتائج غازي القصيبي بين حقول الفكر والأدب شعراً ونثراً، إلى جانب الأبحاث والدراسات والإسهامات الصحافية، ولم يشغله عمله الوزاري أو الدبلوماسي أو المهام الرسمية التي كان يكلف بها عن الكتابة، ولم تقف حائلاً بينه وبينها، فكان شاعراً مبدعاً، وفارساً متميزاً من فرسان القصيدة العربية، وشكّلت تجربته الشعرية ظاهرة متفردة وعلامة فارقة في مسيرة الشعر العربي، وفتحت نتاجاته الجريئة في هذا الفن الأدبي الأبواب على عالم يموج بالعواطف الإنسانية، وتسنتيم فيه منظومة القيم العربية النبيلة، واستطاع -الشاعر المتقد بالأحاسيس- بتجاربه الإنسانية الحيّة، ولغته الشعرية المتميّزة، وبراعته في تجسيد المواقف والأحداث، أن يبلغ مستويات راقية من الحضور والتميز والتألق.

ومن أبرز أقوال القصيبي:

- "عندما قرر الصهاينة إنشاء دولة لهم كانت اللغة العبرية لغة ميتة بعثوها بعثاً من المعاجم واستخدموا مفرداتها حتى أصبحت لغة حية! أما نحن فقد ورثنا أكثر اللغات حياة فبذلنا أعظم جهداً لقتلها".

١ غازي القصيبي ومعاركه الفكرية في الأدب والحياة، محمد معاطي، مجلة المبتعث، ٢٠١٠م، العدد (١٩١)، ص ١٠، ١١.

٢ انظر: ثورة في السنة النبوية، ط١ دار الساقى ٢٠٠٣م، حتى لا تكون فتنة دار الندوة، في رأي المتواضع، ط١، مطبوعات تهامة ١٩٨٣م، عن قبيلتي أحدثكم، ط١، منشورات الزمان ٢٠٠١م، من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون، ط٢، دار الساقى ١٩٩٤م، غازي القصيبي.

- "إن أي نجاح لا يتحقق إلا بفشل الآخرين هو في حقيقته هزيمة ترتدي ثياب النصر".
- "محاولة تطبيق أفكار جديدة بواسطة رجال يعتقدون أفكاراً قديمة هي مضیعة للجهد والوقت".
- "الكرامة البشرية مرتبطة ارتباطاً عضویاً بالعقل البشري. إذا ذهب العقل ذهب معه الكرامة".
- "الفرق بین الشعر والرواية: الشعر شفرة، والرواية مذاكرة. الشعر تلمیح، والرواية تصریح. الشعر ومضة، والرواية نور كاشف. الشعر موسیقی، والرواية كلام. الشعر ترف لعقول الخاصة، والرواية طعام دسم لعقول العامة".
- "من سلیبات الشخصية العربية أنها لا تهتم بالفعل نفسه اهتمامها برد فعل الناس نحوه".
- على الرغم من أن القصیبي أشهر الأدباء في السعودية إلا أن العديد من أعماله الأدبية ممنوعة من التداول والنشر في المملكة^١.
- قام بترجمة أحد أعمال الكاتب إيريك هوفمان إلى العربية بعنوان "المؤمن الصادق"، وقدم إسهامات هامة وعديدة في المجال الصحفي من مقالات تنموية وسياسية، كما أسهم بشكل بارز في الأعمال الخيرية، والاجتماعية، فمن أبرز ما قدمه في المجال الإنساني هو تأسيس جمعية خيرية للأطفال المعاقين لأول مرة في المملكة، وعمل دون مقابل مادي لآخر ٣٠ سنة من حياته.
- ونظراً لمسيرة القصیبي الحافلة بالإنجاز والمراكز المفصلية في المملكة السعودية فقد حاز على جوائز وألقاب عديدة، كوسام الكويت للطبقة الممتازة ١٩٩٢، ووسام الملك عبد العزيز السعودية وغيرها، كما أن

١ عكاظ، غازي القصیبي وبيقي الأثر، ٢٧/٣/٢٠٢٣م.

القصيبي غيرَ كثيرًا من ملامح الأدب الخليجي على الصعيد السياسي خصوصًا، على أثرها عدُ أهم أدباء المملكة السعودية ومن أكثرهم تأثيرًا. من أهم ما كُتب عنه:

- رحم الله فارس الكلمة والموقف، الاستثنائي الذي جمع المواهب، صاحب الحضور الذي ترك بصمة واضحة على عمله وكتاباته ومواقفه الحياتية، فقد جمع رجالاً في شخصه وفكره وخلقه، كان له مذاق خاص سياسياً وشاعرياً وروائياً، جريئاً في طرحه، عميقاً في تناوله، حاملاً آمال أمته وهمومها^١.

- القصيبي شاعر كلاسيكي، منحاز في كلاسيكيته إلى لغة بسيطة وسهلة، يعرضها تنوع المضامين والأفكار بوصفه شاعراً جماهيرياً يستبصر التراث، ويوظفه في متن القصيدة^٢.

- ظل غازي يعطي الناس أخباراً ويعطيهم قصصاً عن نفسه بما أنه سيرة لمتغيرات اجتماعية وثقافية تختلف عن السائد، وظل هو نموذجاً لغير السائد، يتكلم عن نفسه وعن المؤسسة وعن السر وعن الضمير وكأنما هو يقول سوائف يحاكيها على أهله وخاصته، ولكن الأهل والخاصة هنا هم الناس كل الناس وهم التاريخ المفرد أمامه وبصفحات مفتوحة^٣.

- القصيبي المثقف والمبدع والوزير الذي تشكل معه وعي جيل كامل من خلال أعماله الأدبية وحضوره ومواقفه الشجاعة.. الشاعر والمثقف الذي لا يكاد يخلو من إنتاجه بيت أو مكتبة في الخليج قاطبة^٤.

١ غازي القصيبي روائياً، سمير أحمد الشريف، ص ٣٨، مجلة الجوبة، العدد (٢٩) ٢٠١٠م.

٢ غازي القصيبي شاعراً، عمار الجنيدي، مجلة الجوبة، العدد (٢٩) ٢٠١٠م.

٣ الجزيرة، سليمان العيسى، العدد (١٣٨٣٦)، ١٤٣١هـ.

٤ أيلاف، الشاعر السعودي محمد خضير العدد (٨٢٨١)، ديسمبر ٢٠٢٣م.

- ويتحدث الشاعر فاروق جويدة عنه، فيقول: قد كان واجهة مشرقة للشعر السعودي، وفي الرواية استوقف الكثير من النقاد والكتاب وأصحاب الفكر، وكوزير خاض معارك كثيرة في بلاده وكان حاسماً في الكثير من القرارات، لا شك أن خسارتنا في غازي القصيبي خسارة كبيرة كشاعر وكمثقف وإنسان عاش من أجل قضايا وطنه وأمته^١.
- بينما ترى الإعلامية منى سراج أن القصيبي استطاع أن يترك أثراً في أبناء جيلها خاصة فيما يتعلق بإنتاجه الأدبي موضحة: إنتاج القصيبي الأدبي كان نقلة في تفكير معظم أبناء جيلي، حيث كنا نتعلق بإصداراته التي كانت لها أبعاد مختلفة أثرت في شخصياتنا، والمميز أن القصيبي لم يتأثر ككاتب، أو كأديب بالعمل السياسي فحتى مقالاته كانت متنوعة بين الوطنية والإنسانية والاجتماعية التي تحمل ردة فعل أو تعليق على تجربة الأصدقاء أو حالة بعينها في المجتمع، وبالرغم من أن تعلقى بالدكتور غازي القصيبي كان تعلق بأديب أكثر من كونه وزير إلا إنني كنت أراه (الجوكر) القادر على الأداء المتميز في أي منصب من المناصب التي تقلدها في الدولة^٢.
- ويقول الدكتور تركي الحمد: رحم الله أبا سهيل، الدكتور غازي بن عبد الرحمن القصيبي، فقد كان ظاهرة حياً وميتاً، في زمانه وغير زمانه، ميزة غازي القصيبي أنه كان ذا لمسة سحرية، إن صح التعبير، فحيثما حل في منصب كان النجاح حليفه، أو كان هو حليف النجاح، وكأنه والنجاح صنوان^٣.

١ مجلة عربيات الدولية، رحيل فارس غير منكسر، ١٧/٨/٢٠١٠م.

٢ المرجع السابق.

٣ عكاظ، أدباء ونقاد وإعلاميون: غازي القصيبي لم يموت، ٥/مارس/٢٠٢١م.

وفاة غازي القصيبي:

توفى غازي عام ٢٠١٠م عن عمر يناهز السبعين عاماً ، بمستشفى الملك فيصل التخصصي بعد معاناة طويلة مع المرض.

ثانياً: دلالة المكان لغة واصطلاحاً:

علاقة الإنسان بالمكان علاقة مصيرية، لا يمكن أن يتصور الذهن الوجود الإنساني خارج سياق المكان^١، فكل مناحي الحياة ومظاهرها بل كل أحوال النفس البشرية تشهد على حضور المكان الكثيف، فالإنسان مرتبط بالمكان منذ لحظة الولادة إلى لحظة الوفاة، وهو في رحلة مستمرة ينتقل من مكان إلى آخر، فالرحم مكان، والحد مكان، والتجارب البشرية مجموعة أمكنة، والأرض التي خلق منها ويعود إليها مكان، إذن المكان هو الوجود الإنساني وشرطه الرئيسي.

فالمكان يعد بدء تدوين التاريخ الإنساني، فهو الارتباط الجذري بفعل الكينونة لأداء الطقوس اليومية للعيش، وللوجود، ولفهم الحقائق الصغيرة، وللتراكيب المعقدة والخفية، بل لصياغة المشروع الإنساني كله^٢.

وقد ورد ذكر لفظ المكان في القرآن الكريم عن طريق ارتباط فعل الكون بالخلق والوجود، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^٣، وقد وردت كلمة المكان بدلالات متعددة منها البيت، والمكان القريب، وقد بلغت عشر مرات، نحو قوله تعالى:

- ﴿ وَأَسْتَعِمْ يَوْمَ بُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾^٤.

١ فن القص، نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب القاهرة، ص ١٣٩.

٢ فاعلية المكان في بناء القصيدة عند ذي الرمة، أمل طاهر نصير، مجلة الملك سعود

٢٠٠٣م، ص ٢٧٤.

٣ سورة يس، آية ٨٢.

٤ سورة ق، آية ٤١.

- ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ^٤ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ^١ .
- ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ ^٢ .
- ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ^٣ .
- ﴿ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ^٥ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ ^٤ .
- ﴿ إِذَا رَأَوْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّطًا وَزَفِيرًا ^٥ .
- ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ^{٥١} وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ ءَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَافُسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ^{٥٢} وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ ءَمِنْ قَبْلٍ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ^{٥٣} ﴾ ^٦ .
- ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ^٧ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَأَذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًّى ^٨ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ^٧ .
- وقد وردت كلمة المكان في القرآن الكريم ثلاث مرات؛ لتدل على بدل من الشيء ، نحو قوله تعالى:

١ سورة يونس، آية ٢٢.

٢ سورة إبراهيم، آية ١٧.

٣ سورة الحج، آية ٢٦.

٤ سورة الحج، آية ٣١.

٥ سورة الفرقان، آية ١٢.

٦ سورة سبأ، آية ٥١، ٥٢، ٥٣.

٧ سورة فصلت، آية ٤٤.

- ﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُم بِغَنَّةٍ لَهُمْ وَلَا يَشْعُرُونَ ﴾^١.
- ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَّالَ زَوْجِ مَكَانِ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمُ إِحْدَنَهُنَّ فَنَطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْئَتِنَا وَإِنَّمَا مِيبِنَا ﴾^٢.
- ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةَ مَكَانِ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^٣.

كما وردت لفظة المكان في القرآن الكريم بالمعنى المجازي بمعنى المنزلة^٤، بلغت تسع مرات^٥، منها قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾^٦، ويبقى ويبقى تحديد مصطلح المكان متبايناً في الكثير من التفسيرات التي تتوافق بعضها مع الآخر، ويتناقض البعض الآخر مع غيره.

وعلى هذا فعنصر المكان من عناصر البناء الفني للعمل الأدبي المهمة، فهو ليس بناءً خارجياً ولا حيزاً محدود المساحة، ولا تركيباً من غرف وأسيجة ونوافذ، بل هو كيان من الفعل المتغير على تاريخ ما^٧. فالمكان المحيط بنا هو حقيقة المعاش، ويؤثر في البشر - وخاصة المبدعين - بالقدر نفسه الذي يؤثر فيهم^٨.

١ سورة الأعراف، آية ٩٥.

٢ سورة النساء، آية ٢٠.

٣ سورة النحل، آية ١٠١.

٤ معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة، ط ٢، ١٩٨٩م، ص ٥٤٤.

٥ انظر سورة الفرقان آية (١٣، ٣٤)، سورة المائدة، آية ٦٠، سورة يوسف، آية ٧٧، سورة سورة مريم، آية (١٦، ٢٢، ٧٥)، سورة طه، آية ٥٨.

٦ سورة مريم، آية ٥٧.

٧ إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، ص ٨، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ط ١، ١٩٨٦م.

٨ المكان ودلالته ليوري لوتمان، ترجمة سيزا قاسم، القاهرة ١٩٨٦م، ص ٨٣.

والمكان يُعد عامل مساعد لتحديد رؤية الكاتب، وإجلاء أبعادها، وتحديد معالم الخطوط الدرامية للعمل كله، وتحديد صراع الشخص مع واقعها ومع ذواتها في الوقت نفسه^١.

وعلى ذلك فارتباط الأديب بالمكان وتأثره به ليس بدعاً في هذا الشأن، فالإنسان عامة وثيق الارتباط بالأمكنة المحيطة، فالمكان على مستوى الملاحظة المباشرة في حياتنا اليومية يمثل دوراً أساسياً في حياة الإنسان، ويؤثر تأثيراً مباشراً في مشاعره وسلوكه اليومي، ومن خلاله يستمد جوهره وبقائه، بل إن النماذج الدينية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية في عمومها تتضمن وينسب متفاوتة صفات مكانية بارزة^٢.

ولو بحثنا عن دلالة المكان في معظم معاجم اللغة العربية، نجد أنها تدور حول رأيين، هما: ما جاءت من مادة كون بمعنى الموضع، والجمع أمكنة وأماكن^٣، والثاني جاءت من مادة مكن، وهو الموضع^٤، وقيل إنه الموضع المحاذي للشيء^٥.

ومعناه اصطلاحاً تعددت تعريفاته تبعاً للعلوم التي تناولته، كعلم الفلسفة، والاجتماع، والنقد الأدبي.

١ الرؤية والبنية في روايات زياد قاسم، منتهي الحراشنة، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت الأردن، ٢٠٠٠م، ص ٦٣.

٢ بنية الشكل الروائي: الفضاء- الزمان - الشكل، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط١، ص ٣٤.

٣ لسان العرب، ابن منظور، مادة (مكن)، دار صادر، ط١، ١٩٩٠م، المجلد ١٣.

٤ المرجع السابق.

٥ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى محمد الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، وكريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية ط١، بيروت ٢٠٠٧م، ج ٢٠، ص ٩٤.

فنجد علماء الفلسفة يراه أفلاطون أنه أمر غير حقيقي، فهو الحاوي للموجودات المتكثرة، ومحل التغير والحركة في العالم المحسوس، عالم الظواهر غير الحقيقي^١.

أما أرسطو يراه الحاوي الأول وليس جزءاً من الشيء؛ لأنه مساوٍ للشيء المحوي وفيه الأعلى والأسفل^٢، فنرى من تلك التعريفات أن المكان ملتصق بحياة البشر لأنهما يريان أن البشر تدرك المكان إدراكاً حسياً مباشراً^٣.

وعن دلالة المكان عند علماء الاجتماع فمقولات الفكر الاجتماعية المصدر، ولدت من مقولات الفكر ومن ضمنها مقولة الزمان والمكان، في باطن الدين، ونشأت عن الدين، فهي إذن للفكر الديني، فهو خير ما يمثل المجتمع، إذ إنه ظاهرة اجتماعية من الطراز الأول، نشأت عن المجتمع، ومن هنا كان ما ينشأ عنها اجتماعي الأصل بالطابع، ومن ثم مقولات الفكر الاجتماعية^٤. وهناك عدة تعريفات عند علماء الفلسفة والاجتماع، ولكن ما يعنينا دلالة المكان في النقد الأدبي، ومنها: هو ما عيش فيه لا بشكل وضعي بل بكل ما للخيال من تحيز، وهو بشكل خاص في الغالب مركز اجتذاب دائم^٥.

١ جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، أسماء شاهين، دار الفارس للنشر والتوزيع الأردن، ط١، ٢٠٠١م، ص٩.

٢ المكان في الرواية البحرينية، فهد حسين، دار فراديس للنشر والتوزيع، ط١، البحرين ٢٠٠٣م، ص٥٥.

٣ المرجع السابق، ص٥٦.

٤ جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، ص١٣.

٥ جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٠م، ص١٧٩.

فالمكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما فيه من الخيال وتميز، فإننا ننجذب نحوه لأنه يكتف الوجود في حدود تتسم بالجماعة كما في الصور^١.

ويرى البعض أن المكان يشكل في الرواية الأرضية التي تشد جزئيات العمل كله، فإن وضح وظهر الزمن الروائي، وإن درس بعناية فهمت الشخصية، وإن تناوله بصدق تاريخي وصدق فني مكن عمله من أن يمتد التاريخ.. وعكس ذلك لن يصبح المكان بين يدي كاتب قليل التجربة ضعيف المخيلة فاقد الإحساس بالأشياء^٢، فالمكان هو الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، فهو يحمل جزءاً من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه^٣.

وعلى ما سبق نجد مفهوم المكان يختلف مفهومه من معني لآخر، ويشترك مصطلح المكان مصطلح الفضاء يتناوبان في كثير من الاستخدامات، وعلينا أن نوضح دلالة الفضاء لغة واصطلاحاً، وبالبحث في معظم القواميس اللغوية أجمعت على أنه بمعنى الاتساع والمباعدة ضد الضيق^٤، أما دلالاته الاصطلاحية فهو المادة الجوهرية للكتابة الروائية، فهو

١ المرجع السابق، ص ٣١.

٢ دراسة في فن الرواية العراقية، ياسين النصير، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٠م، ص ٦.

٣ الرواية والمكان دراسة المكان الروائي، ياسين النصير، سوريا دمشق، ط ٢، ٢٠١٠م، ص ٧٠.

٤ انظر معجم العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١ ٢٠٠٣م، مجلد ٣، ص ٥٠٨، مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مجلد ٤، ص ٥٠٠.

مجموع الأماكن الروائية التي تم بناؤها في النص الروائي والتي يطلق عليها اسم فضاء الرواية^١.

وعلى هذا نجد أن دلالة الفضاء أشمل وأعم من معني المكان، فالمكان هو مكون الفضاء، وما دامت الأمكنة في الروايات غالباً ما تكون متعددة ومتفاوتة، فالفضاء في الرواية هو الذي يلفها جميعاً إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية^٢.

والمكان الروائي حين يطلق من أي قيد يدل على المكان داخل الرواية، سواء أكان واحد أم أمكنة عدة، ولكن حين نضع مصطلح المكان في مقابل مصطلح الفضاء يعني التميز بين مفهوميهما، فالمقصود بالمكان المكان الروائي المفرد ليس غير، ونقصد بالفضاء الروائي أمكنة الرواية جميعاً، ونجد كذلك أن دلالة مفهوم الفضاء لا تقتصر على مجموع الأمكنة في الرواية بل تتسع لتشمل الإيقاع للحوادث التي تقع في هذه الأمكنة ولوجهات نظر الشخصيات فيها^٣.

وعلى ذلك نجد أنه لا فضاء من غير مكان، فالمكان سبب في وجود الفضاء، فالفضاء في حاجة دائمة للمكان^٤.

ويمكن تقسم المكان إلى:

المكان المادي: أي المكان الجغرافي أو الفيزيائي بأبعاده وأشياءه الملموسة، وبعد الوصف وسيلة ظهوره.

١ البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، أحمد مرشد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط١، ٢٠٠٥م ص ١٣٠.

٢ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص ٦٣.

٣ الرواية العربية البناء والرؤيا مقارنة نقدية، سمر روجي فيصل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م، ص ٧١.

٤ الشعر العربي الحديث بنياته وبدلاتها، محمد بنيس، مجلة العربية، جزء ٣، ص ١١٥.

المكان النصي: يقصد به المكان الذي تشغله الكتابة كحروف
طباعية، وتنظيم الفصول، وشكل العناوين.

المكان الثقافي: وهي تعني الطقوس اليومية للإنسان التي يمارسها
لتشكل أساس وحدته مع المكان، فهو يستوعب مجموعة من الممارسات
والسلوكيات للأفراد والجماعات، والذي يهمننا في مجال الدراسة هو البعد
المادي، والثقافي.

وهناك مصطلح الموقع والفراغ للدلالة على مستويين مختلفين للبعد
المكاني، أحدهما محدد يتركز فيه مكان وقوع الحدث، والآخر أكثر اتساعاً،
يعبر عن الفراغ المتسع الذي تتكشف فيه أحداث الرواية^١.

وهناك مصطلح آخر يطلق على المكان هو الحيز، فالمكان يقف في
العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده^٢.

وعلى هذا فالمكان في العمل الأدبي لا يحكم عليه من خلال الوصف
المادي فحسب، وإنما يتجسد في العلاقة القائمة بين الإنسان والبطل
والأديب، وهو في نظر الأديب تتعدى صورته المادية (الجغرافية) الحقيقية
لتظهر رؤاه أكبر من تلك المساحة لتتخطى النطاق وتمتزج عند الأديب
لحظات الوعي مع الانطلاق نحو المجهول وعوالم اللامحدود المكاني.

فالمكان عنصراً هاماً من عناصر الرواية، لما له من دور فعال في
بناء النص السردي، له أبعاد ، منها:

١ التحليل البنيوي للرواية العربية، فوزية لعيوس غازي الجابري، دار صفاء للنشر
والتوزيع، ط١، ٢٠١١م، ص ٢٤٥.

٢ استعادة المكان دراسة في آليات السرد والتأويل، محمد مصطفى علي حسنين، دائرة
الثقافة الإعلام، الإمارات العربية، ٢٠٠٤م، ص ١٣.

١- البعد الفيزيائي:

وجدنا أن البعد الزمني مرتبط بالبعد المكاني الفيزيائي الذي يتحدد من خلال حركة الشخص، فانتقال الشخص الطبيعي أي السفر يظهر كأنه حالة لحقل محلي، أو حقل ممغنط، وهكذا فكل انتقال في المدى يفرض تنظيماً جديداً للمدى وتغيراً في الذكريات والمشاريع^١، ولعل في ذكر الموضع الفيزيائي للمكان أنه يشبه علم الفيزياء الذي يستخدم في تشكيل المواد البصرية، وهذا ما يحاول المبدع رصده في تشكيل الجماليات للمكان على اختلاف أبعاده.

٢- البعد الهندسي:

يقصد به الآليات المعقدة التي يعتمدها الذهن في الانتقال من المحسوس إلى المجرد^٢، فالكاتب قد يلجأ إلى الوصف الدقيق للأمكنة وتوظيف التخيل، كأنه يرسم المكان وفق الرؤية الهندسية، فنكثر المفردات التي تعبر عن رسم المكان وتصوره، وفق بُعد رياضي هندسي، من حيث ذكر الطول والعرض والارتفاع، لذلك يصف الكاتب المكان بدقة معتمد على ما يعتمد عليه المهندس في رسم شكل بنائه، فكأن بناء النص كبناء معماري.

٣- البعد الجغرافي:

يعتمد هذا البعد على الوصف المتعلق بطبيعة المكان وشكله، فالروائي يرسم المكان بالمفهوم الجغرافي، فنجده يذكر أسماء المناطق والأماكن بشكل يتطابق مع أسمائها الحقيقية على أرض الواقع، وأحياناً لا يصرح بها ويترك للقارئ مجال لتخيلها وإعطائها بعداً خاص تتسم به؛

١ بناء الرواية، ص ١٥٢.

٢ قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، صلاح صالح، دار شرقيات للنشر

والتوزيع، ط١، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٣٠.

لأنه يدعي الواقعية تجمع مزيج من الواقعي الجغرافي والخيالي، فكأن خيال الروائي التقليدي غير قادر على ابتداع عالمه الحيزي، فيتكئ على العالم الجغرافي، ويقتات منه فتات الأمكنة^١.

٤- البعد الزمني التاريخي:

يهتم هذا البعد بتناول التاريخ والأزمنة الدالة عليه، فهذا الزمن ليس بمدرك إلا داخل إطار المكان^٢.

والبعد التاريخي الزمني يمتزج مع المكان، لتشكيل عناصر التكوين الفكري والرؤية التي يراها المؤلف ليكمل بها عمله الإبداعي الجمالي، فقد نجد أنفسنا في بعض الأحيان نعرف أنفسنا من خلال الزمن، في حين أن كل ما نعرفه هو تتابع تثبيت في أماكن استقرار الكائن الإنساني الذي يرفض الذوبان، والذي يود حتى في الماضي، حين يبدأ البحث عن أحداث سابقة أن يمسك بحركة الزمن، إن المكان في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها، يحتوي على الزمن مكثفاً، هذه هي وظيفة المكان^٣.

فالزمن لا قيمة له ولا معني خارج ارتباطه بالمكان، فتداخل الزمان بالمكان يتبادلاً الوظائف ويؤلفا من خلال ذلك بعداً شعرياً جديداً، ويظهر هذا التبادل في الأعمال الروائية.

١ في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢٠٠٥م، ص٢٠٢، ٢٠١.

٢ جماليات المكان في الشعر العربي المعاصر، قادة عقاق، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط٢٠٠٢م، ص٩٢.

٣ جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة عبد الرحيم حز، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص٣٩.

٤ جماليات المكان في الشعر العربي المعاصر، ص١٠٢.

البعد الفلسفي:

وهذا البعد يقصد به الكيفية التي يربط بها الروائيين أمكنتهم بكل ما هو فلسفي ذهني ومتمخيل، من أجل إثراء العمل الفني بمعطيات فلسفية ذات عمق، فالتبادل بين الصور الذهنية والمكانية يؤدي إلى التصاق معان أخلاقية بالإحداثيات المكانية نابعة من حضارة المجتمع وثقافته، كما أن الأشياء تتحول في الرواية من مجرد عناصر من العالم الخارجي إلى رموز^١، فالكاتب لا يكتفي بنقل الواقع كما هو بل يحاول أن يعمقه بعمق فلسفي من أجل إكسابه صبغة فنية جمالية.

البعد الواقعي الموضوعي:

هذا البعد يلتزم فيه المبدع بنقل الواقع بكل موضوعية، في صورة فنية جمالية، من أجل جذب القارئ للنص الروائي، وكأنه ينقل لنا تجربة معيشة، كما أن مكان الرواية مكاناً خيالياً، تتحكم اللغة الروائية في نسج الأمكنة. ويهدف هذا البعد إلى احتواء الأمكنة الواقعية، التي يسعى المبدع إلى رسم معالمها الموضوعية، فهو يحرص على تصوير الواقع المكاني، وإن كان هذا البعد أقل اهتماماً لدى الروائيون مقارنة بالأبعاد المكانية الأخرى. ومن الملاحظ مما سبق أن المكان قد بدأ يحظى بمنزلة قيمة واهتمام واسع من قبل النقاد والروائيين، فقد أصبح المكان يُشكل هوية من هويات الخطاب الروائي^٢.

فالمكان له أهمية في تشكيل سير أحداث الرواية، يتخذ أشكالاً ويتضمن معانٍ عديدة، بل قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود

١ بناء الرواية، ص ١٠١.

٢ شعرية الفضاء السردي، حسين نجمي، المركز الثقافي العربي ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٥٨.

العمل كله^١، وهو الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه^٢.

والمكان داخل الرواية يُسهم في خلق المعنى داخل الرواية، ويمكن للروائي أن يحول المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال من العالم^٣. ومن أهمية المكان الروائي دوره في تنظيم الأحداث في الرواية، فالبيئة الموصوفة تؤثر على الشخصية وتحفزها على القيام بالأحداث وتدفع بها إلى الفعل حتى أنه يمكن القول بأن وصف البيئة هو وصف مستقبل الشخصية^٤.

كما أنه من أهم عناصر الرواية، فلا يمكن للشخصيات أن توجد ولا للأحداث أن تقع إلا في إطار مكاني^٥.

كما أن المكان يعتمد على معايير من أهمها: رؤية الكاتب، أو طبيعة التكوين الفني للرواية، وقد يكون المكان - تبعاً لهذا - مجرد ظرف أو حيز محايد تقع فيه الأحداث، أو يكون في موضع آخر دالاً عندما يكون شبكة من العلاقات والرؤى ووجهات النظر التي تتضافر لتشييد الفضاء الروائي^٦. والمبدع المحترف هو من يستطيع أن يرسم المكان باحتراف، حتى يعقد شراكة بينه وبين المتلقي، الذي بخياله وتصورات سيكمل الأبعاد التي تفوت علي الأديب أن ينقلها، فهو يعطي للمتلقي فرصة حتى يندمج بخياله

١ بنية الشكل الروائي، ص ٣٣.

٢ الرواية والمكان، ص ١٦، ١٧.

٣ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص ٧٠.

٤ بنية الشكل الروائي، ص ٣٠.

٥ في حوارية الرواية دراسة في السردية التونسية، محمد القاضي، دار سحر للنشر

المغرب، ٢٠٠٥م، ص ٤٥.

٦ الرؤى الثورية في القصة والرواية قراءات نقدية في نماذج مصرية (١٩٨١-٢٠١١)،

أحمد كريم بلال، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٥م، ص ١٤٨.

مع الأجواء الروائية متمثلة في المكان، حتى في حديث النفس والتفكير والخيال الذي ينقله الأديب على لسان البطل نجد تشكل الأماكن في ذهن البطل تلقائياً وإن لم يبرح مكانه.

أثر المكان في الرواية السعودية:

المتأمل للمشهد يجد اهتمام الروائيين بالمكان من حيث هو مكون أساسي لجماليات النص الروائي، وسنتحدث عنه بالتطبيق على رواية (شقة الحرية) لغازي القصيبي.

فقد احتل المكان مكانة مرموقة في الرواية السعودية المعاصرة؛ لأن المكان في النص الروائي يتجاوز كونه مجرد شيء جامد أو أخرس، أو تقع عليه مجربات الرواية، بل هو عنصر فعال في الرواية حاملاً لدلالات قوية، وأبعاد إشراقية، تشكل جوهرًا في بنائية الرواية، لهذا يرى بعض النقاد أن العمل الأدبي حين يفنق المكانية، فهو يفنق خصوصيته، وبالتالي أصالته^١. ومن هنا وجدنا أن المكان في الرواية السعودية شغل حيزاً كبيراً وتجلّى كمحور أساس، تتشكل فيه عوالم الرواية، وتدور حوله الأحداث، بما يمثل القلب في الرواية والإطار العام، لذلك استثمر الروائيون السعوديون المكان بما يخدم تجاربهم الشعورية ورواهم الفكرية.

والقارئ للرواية السعودية، يجد أنها تضج بالمكان، فالنص لدى الروائي يولد في إطار شبكة معقدة من البنى الثقافية، والمصادر المعرفية، والرموز الحضارية، فيصل بالقارئ إلى عنصر المكان وتجلياته وانفتاحه. وعلى الرغم من أهمية المكان وظهوره في الرواية السعودية، إلا أن هناك بعض من النقاد يلحظ أن المكان في بعض الروايات السعودية مجرد كولاج (أي تكنيك فني) يضاف على الرواية بشكل آلي غير مؤثر في مسيرة

١ في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة الكويت، ١٤١٩هـ، ص ١٤١.

الأحداث^١، فقد ظلت الرواية السعودية زمنياً طويلاً توارب المكان أو تتحاشاه، وكأنها قبضت فجأة على حيلة سردية للهروب منه، واتخذ الهروب أشكالاً متعددة فسافرت بأحداثها إلى مكان في الخارج^٢.

وعلى ذلك هناك عوامل أثرت وساهمت في تشكيل المكان في الرواية السعودية، منها ما هو فني يتعلق بتجربة الروائي في الكتابة، ومنها ما يتعلق بظروف المجتمع في ذلك الوقت، لذا فقد اختارت الروايات في بدايات الرواية السعودية مدناً عربية كبيروت، والقاهرة لتكون مكان أحداث الرواية، كرواية ثمن التضحية لحامد الدمهوري، و(ودعت آمالي)، و(مأتم الورد) لسميرة خاشقجي، و(شقة الحرية)، و(العصفورية) لغازي القصيبي، وقد تخطى بعض الروائيين إلى المدن العالمية أمكنة روائية مثل لندن في رواية (يوم التقينا يوم افترقنا) لخالد الشيخ، وهناك روايات جمعت ما بين المدن العربية والأوربية كرواية (سقف الكفاية) و(صوفيا) لمحمد علوان .

كما اتخذ بعض الروائيين عدم تحديد معالم للمكان، فيكون غير معروف أو غير معين جغرافياً، كرواية (روحها الموشومة به) لأمل الفاران لم تسمى المكان بل اكتفت بإطلاق الديرة، وهناك من ي اخترع أماكن بأسماء جديدة، أو لا يذكر أسماء الحارات أو القرى كما فعل عبده الخال، فقد كان يسمى المدن ويعمد إلى عدم تسمية القرى ولا الحارات.

ولعل هذا التحوير في الأسماء جاء عند بعض الروائيين عن تجربة، فقد كتبت قصة قصيرة قبل عشرين سنة تقريباً ونشرتها في مجلة اليمامة، صادف أن اسم البطل يطابق اسم رجل حي معروف، فأقام هذا الرجل

١ قراءات في الرواية السعودية، حسن النعمي، النادي الأدبي جدة، ١٤٤٢هـ، ص ٢٦.

٢ المكان ذاكرة الوجد، مني المالكي، جريدة عكاظ، الاثنين ٢٨ مارس ٢٠٢٢م.

دعوي ضدي وكسبها، ألزمني القاضي بالاعتذار العلني، كل قرائي يعرفون ما أقصد بخصوص الأمكنة^١.

وليس هذا السبب فحسب في تحوير وعدم ذكر أسماء الأمكنة للخوف من الصدام المجتمعي، بل هناك بعض الروائيين يطلقون مخيلة المتلقي ليخلق في كل مكان يصلح للأحداث بعض الروايات ليزيد من التأويلات والتشويق.

وقد وجدنا تجسد المكان في عنوان الروايات السعودية، نحو: على مرمى صحراء في الخلف لعوض العصيمي، وبنات الرياض لرجاء الصانع، شباب من الرياض لطارق العتيبي، الحمام لا يطير إلا في بريدة ليوسف المحميد، حب في السعودية لإبراهيم بادي، فتاة الشرقية لمريم الحسن، سوق الحميدية لسلطان القحطاني، شقة الحرية لغازي القصيبي.... أو هناك العديد من الروايات السعودية التي اشتمل العنوان على دلالة مكانية.

وعلى ذلك فإن المكان في الرواية السعودية كان ولا يزال محورياً للحركة والثبات، وأصبح أنموذجاً في الرواية من مكان فرعي إلي رئيس ومن واقع فن إلى شيء حقيقي.

١ الرواية السعودية حوارات وأسئلة وإشكالات، طامي السمييري، دار الكفاح، ٢٠٠٩م، ص ٣٢٣.

المبحث الأول:

أنواع الأمكنة في رواية "شقة الحرية"

يتميز بناء المكان في النص الروائي بالتنوع والتعدد، فلا وجود لمكان واحد فقط في الرواية، بل أماكن متعددة حتى في الروايات التي تنحصر فيها الأحداث في إطار مكاني ضيق، تأتي مشتتة على عدة أمكنة داخل هذا المكان.

وقد اشتملت رواية شقة الحرية على عدة أمكنة، فقد احتفل غازي القصيبي بالمكان؛ لأنه يمثل الأرضية التي تجذب مقومات العمل الروائي بعضها ببعض، ولعل تنوع الأمكنة في الرواية يعود لكثرة الأحداث وتعدد الشخصيات.

فمن خلال تعدد الأمكنة في الرواية تتضح رؤية القصيبي، وخاصة أن الفترة التي تناولها في الرواية شهدت تحولات على جميع الأصعدة ثقافياً، وسياسياً واجتماعياً، فالأمكنة وتواترها في الرواية يخلقان فضاء شبيهاً بالفضاء الواقعي، وهما لذلك يعملان على إدماج الحكى في نطاق المحتمل^١.

نبذة عن الرواية:

قبل أن نستعرض الأمكنة التي وردت في الرواية نقدم نبذة عن الرواية، فهي تعد من الروايات الطويلة، تتضمن دعوة صريحة إلى الحرية من التقاليد والأعراف القديمة التي كانت الأمة العربية مشدودة ومكبلة بها في تلك الفترة الزمانية، ولكن ما هو مضمون الحرية التي طالب بها القصيبي، هو حرية الرأي والفكر والاستقلال، حرية المؤسسات المختلفة التي تدعم الديمقراطية وتعمل لأجلها، وتتسم هذه الحرية المنشودة لدى القصيبي بالحرية الغربية والأوربية وليست الحرية الإسلامية.

١ بنية النص السردي، ص ٦٥.

وقد تميزت تلك الرواية بما يلي:

- إن رواية "شقة الحرية" تتميز بقصتها المنفردة الشيقة وهي قصة شبه الحقيقة تصور أحوال العالم العربي ومتغيراتها التي طرأت عليه في فترة زمنية خاصة.
- تتميز الرواية بشخصياتها الحيوية ومتعددة الملامح ومركبة الأبعاد، والراوي والبطل لهذه الرواية فؤاد أصبح من الشخصيات الروائية المعروفة، يمثل به في الكلام مثل شخصية أحمد عبد الجواد في ثلاثية نجيب محفوظ.
- تعالج الرواية الأفكار السياسية والنظريات الحديثة من مثل الماركسية والشيوعية والرأسمالية وغيرها، وذلك بنظرة نقدية وتحليلية وهزلية وجدلية، ولم يتناوله أحد مثل هذا التناول من قبل.
- تعكس الرواية تحولات الحياة العربية بكل دقة ويعمق في تصوير الأحداث وبلورة القضايا تعميقا كأنها الصورة الكاريكاتورية المتمثلة في ثوب الألفاظ أم اللقطات التي تم التقاطها بعين الكاميرا الشفافة وتتبلور لنا قصة زمن بعد قراءة هذه الرواية ويخيل إلينا أننا نرى مسلسلا تلفزيا تتجسد فيه الشخصيات، وملخص القول إنها في غاية الوضوح في البيان.
- أحسن الكاتب في استخدام آليات القص الناضج من السرد والحوار والمونولوج الداخلي والتناص الروائي وغيرها، ومن حيث الجوانب الفنية تخلو الرواية من زلات وهنات اللهم إلا البعض وذلك مقتضى الطبيعة البشرية.
- إن صاحب هذه الرواية شاعر موهوب أصيل وهو مشهور بشعره أكثر من روايته، كما يقال عن الشعراء إنهم يدركون الأمور بإحساسهم ما لا يدركها الآخرون، ولذا نرى أن الرواية تمتلئ بالنكات والنقاط اللتين تفوقان مخيلة القارئ والدارس العام، فالكاتب ربما يعبث وتارة

يقول قول الحكيم وقد لمسنا أثناء دراسة هذه الرواية أنه هو شاعر بانفعالاته وقاص بارع بحبكتة القصصية وروائي ممتاز بتحكمه في الأدوات الفنية للرواية.

تبدأ أحداث الرواية عندما يذهب بطل الرواية البحريني (فؤاد) لدراسة التوجيهية في القاهرة، تمهيداً للدراسة في إحدى جامعاتها، وهناك يبحث عن أصدقاءه أيام الدراسة، وقد سبقوه في الوصول إلى القاهرة بأسابيع قليلة، وهدفهم جميعاً أن يحصلوا على شهادات جامعية.

وقد بدأ القصصية روايته في بداية المد القومي العملاق الذي تزعمه آنذاك الزعيم المصري الراحل جمال عبد الناصر، فأتسمت تلك الفترة بالأحلام والآمال والحرية والرخاء التي زرعتها القادة في تلك الفترة ثم حدث الخذلان.

فشخصية البطل فؤاد كان يحمل في صدره جمال عبد الناصر شأنه شأن الشباب العرب في تلك الفترة التي تضخم الحلم العربي في الانتصار على العدو الصهيوني وتحرير فلسطين، ولعل هذه الفترة هي المفتاح الذي يقدمه القصصية لفهم ما كان قبلها وفيها وبعدها، فحملت تلك الرواية تفسير لكل ما حدث ويحدث سواء في القاهرة أو أي بلد عربي.

ولعل عنوان الرواية كان يحمل مضمون مخالف لمضمونها في نفوس تلك الشباب الذين ظنوا أنهم سيمارسون فيها حريتهم التي جاءوا من أجلها، ولكنهم يكتشفون في نهاية المطاف أن الحرية الحقيقية تكمن في احترام القواعد، وتحصين النفس بالقيم والرؤى، لذلك اكتسب عنوان الرواية المعنى وضده، فتتحول دلالة (شقة الحرية) من الإباحية إلى المطالبة بتحقيق القيم الإنسانية العليا من حرية وإخاء والتزام.

فالعنوان هو العتبة التي تحظى بالاهتمام الأول؛ لأنها تمثل العتبة الأولى التي تمثل مداخله^١، فهو الاسم الذي يميز الكتاب بين الكتب كما يتميز الإنسان باسمه بين الناس، والعنوان يكون للكتاب، وقد يكون للفصول داخل الكتاب، ولكن عنوانه الفصول ليست مطردة في الروايات^٢. وقد تتوع المكان في رواية (شقة الحرية) بين أماكن مفتوحة، وأماكن مغلقة، أماكن محلية، وأماكن دولية، أماكن واقعية، وأماكن متخيلة. وسوف نستعرض تنوع تلك الأمكنة في رواية شقة الحرية، ونوضح دلالة هذه الأنواع من الأماكن ودورها في الرواية، فقد وجدنا أن له علاقة وثيقة بتشكيل الشخصية الروائية فيجعلها مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والترقب، والخوف والضيق، فهي تولد المشاعر المتناقضة والمتضاربة في النفس، وتخلق لدى الشخصيات صراعاً داخلياً بين الرغبات وبين الواقع نفسه توحى بالراحة والأمان، فيبقى معنى الانغلاق دائماً منحصراً في خصوصية المكان واحتضانه لنوع معين من العلاقات البشرية^٣، فتبدأ الرواية بفؤاد في طائرة تحمله من مدينة المنامة البحرين إلى القاهرة لاستكمال تعليمه بها، فيستعرض في هذا المكان ذكريات متعددة بدءاً من صورة الأم التي تخشى عليه من سفره لوحده للقاهرة (بلاد الغربية)^٤ كما وصفتها، وليس ذلك ما يخشاه فؤاد فهو (لا يحس أنه مقبل على غربة، إنه ذاهب إلى القاهرة) ويطرح عدة أمور منها:

١ حادثة النص الشعري في المملكة العربية السعودية، عبد الله أحمد الفيقي، نادي الرياض الأدبي، الرياض، ٢٠٠٥م، ص ١٨.

٢ معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ١٢٥.

٣ منطق السرد دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، عبد الحميد يورايو، منشورات السهل الجزائرية، ٢٠٠٩م، ص ١٨٠.

٤ شقة الحرية، غازي القصيبي، ص ١٧، رياض الريس، ط ٥، ١٩٩٩م.

"كيف تكون القاهرة غربة؟ القاهرة عاصمة العرب، حاضرة الإسلام، كنانة الله في أرضه، وأم الدنيا، القاهرة جمال عبد الناصر، وصوت العرب، والنضال ضد الاستعمار، القاهرة الأمل، القاهرة تأميم القناة"، كل تلك الأمور جعلت مخاوفه تتلاشي لإحساسه بالدفء من تلك الأوصاف التي ذكرها عن القاهرة.

ويستمر البطل في استرجاع ذكرياته وهو ما يسمى بالقص الاسترجاعي، وهو نوع من القص تحضر الذاكرة كمصدر للقول في العمق، أي يسترجع بعض ذكريات بعيدة ليعدها معه في حاضره، فهو يسترجع كل ما سمعه عن القاهرة، من أستاذه شريف الذي سيكون في استقباله بالمطار لاستضافته عنده كما وعده من قبل.

ويعود فؤاد لهواجس الخوف الذي قد يكون فرضه المكان المغلق (الطائرة) من شعوره بالوحدة في القاهرة لعدم معرفته إلا لعدد قليل بها، ونراه يذكر عدة أسماء لبعض أحياء القاهرة ويستعجب من أسماء تلك الأحياء، نحو "العجوزة" يا له من اسم مضحك، ترى من أين جاء الاسم؟ هل كانت تسكن الحي امرأة شمطاء؟ هل هو أقدم أحياء القاهرة؟ وما قصة "شارع نوال" حيث يعيش الأستاذ شريف؟ هل هناك سيدة اسمها نوال؟ وهل لا تزال تسكن الشارع؟ وماذا عن "جاردين سيتي"؟ كيف يبقي جمال عبد الناصر على الاسم الإنجليزي بعد انتهاء عهد الاستعمار؟^١

ولم يكتفى فقط بعناوين الأحياء، بل ذكر أيضاً أسماء حدائق كحديقة الأندلس، حديقة في الشرق الأوسط، وجنينة الحيوانات ثاني جنينة في العالم بعد جنينة لندن، وهناك ساعة هائلة من الزهور في القاهرة، ساعة تتكلم،

١ شقة الحرية، غازي القصيبي، ص ١٧، رياض الريس، ط ٥، ص ١٨.

٢ شقة الحرية، ص ٢٠.

وفى حلوان حديقة يابانية لا يوجد ما يماثلها حتى في اليابان^١، كل ما سبق كانت منولوج نفسي، يستعرض فيه الأماكن في خلال سفره بالطائرة. وتعود حالة القلق والخوف للبطل مرة ثانية في مكان جديد بغرفة المطار التي انتظر بها لعدم حصوله على تأشيرة دخول، فشرح الكاتب في وصف تلك الغرفة التي تدل على الخوف والترقب فيقول "الغرفة مجرد فتحة لا تسع إلا مكتباً صغيراً ومقعدين، مرت عشر دقائق، وثانية، وثالثة، وبدأ يشعر بالقلق"^٢، وصفه لمرور الوقت المتمسم بالثقل في تلك الغرفة الضيقة يزيد من خالة الخوف والهلع من أن يعود مرة ثانية ولا يدخل القاهرة. ويستمر غازي القصيبي في ذكر العديد من أحياء القاهرة، ولكن على لسان الأسطى محبوب سائق التاكسي الذي ينقل فؤاد إلى منزل أستاذه، فيأخذ دور الدليل الذي يشرح لفؤاد المناطق وهم في طريقهم لحي الدقي فيقول "مرت المشاهد بسرعة والأسطى محبوب يشرح، العباسية، باب الحديد، ميدان التحرير، النيل! النيل أخيراً! ثم الدقي"^٣.

ولعل ارتباط كل مكان مغلق بحالة من الخوف والكآبة في نفس فؤاد يعود، كخرفته التي أخذها في بنسيون لعدم عثوره على أستاذه ولا أصدقائه الذين سبقوه بالتعلم في القاهرة، بالرغم من وصفه للغرفة بأنها "غرفة واسعة يغمرها النور"^٤، ولكنه شعر بالحزن والكآبة وهو بمفرده بها، وليس هذا فحسب بل كل المدينة نحو قوله "عندما تركته مدام تانيا بمفرده في الغرفة شعر بكآبة سوداء تحتل أعماقه، شعر بالغبية تطحن عظامه طحناً، شعر أن المدينة الجميلة الكبيرة ليست سوى فراغ هائل مفرغ"^٥، ولم يجد البطل

١ شقة الحرية، غازي القصيبي، ص ١٧، رياض الريس، ط ٥، ص ٢٢، ٢١.

٢ المرجع السابق، ص ٢٥.

٣ المرجع السابق، ص ٢٩.

٤ المرجع السابق، ص ٣١.

٥ المرجع السابق.

من ملجأ من تلك الحالة النفسية سوي الهروب ، ولكن الهروب إلى أين إلى نهر النيل الذي أخذ يصفه وما يحمله من معاني الحياة المختلفة في قوله "النهر أوسع بكثير مما كان يظن، وأجمل بكثير، الحياة على ظهر النهر لا تنقطع، أشكال وألوان من السفن والقوارب تروح وتجيء، أصدااء أغنية هنا وضحكة هناك، شعر أنه يلتحم بالتاريخ، لا يجلس بقرب مجري ماء، وإنما على عتبة الحضارة"^١، نجد أن مكان النيل لم يكن إلا رمزا حاول فيه القصصبي أن يزيل هموم البطل فيه، يكسر الخوف والوحدة يجد فيه معني للحياة والسعادة ، ذلك ما ختم به يومه بقوله: "شعر بطمأنينة غريبة تزحف إلى أعماقه وتطرد مشاعر الوحشة"^٢، لعل تلك المشاعر يشعر بها كل مغترب يزور القاهرة يشعر فيها بالألفة والطمأنينة، في أي مكان وفي أي وقت.

ولا يكتفي البطل فؤاد بالتحدث عن أحياء القاهرة، بل يذكر البحرين والسعودية في الحوار الذي دار بينه وبين الأسطى محبوب عندما سأله من أين أتى:

أهلاً وسهلاً شرفت يا بيه، حضرتك منين؟

من البحرين.

ألف مرحباً، إنما لا مؤاخذة يعني البحرين تجي فين؟

فكر فؤاد في جواب بسيط يمكن أن يستوعبه السائق:

قرب السعودية، الساحل الشرقي للسعودية.

تهلل أسارير الأسطى محبوب:

١ شقة الحرية، غازي القصيبي، ص١٧، رياض الريس، ط٥، ص٣١.

٢ المرجع السابق، ص٣٢.

السعودية؟ الحجاز! ما شاء الله، اللهم صل على النبي، مكة والمدينة
أوعدنا يا رب^١.

ارتباط السعودية في قلوب الشعب المصري خاصة مرتبط بالحرم
المكي والنبوي، وفي قلوب المسلمين عامة.

ويذكر لنا الكاتب مكان جديد مفتوح ليدل على تنفس الصعداء للبطل
بعد اجتماعه بأصدقائه الذين دعوه لتناول الغذاء "بجازينو قصر النيل"
احتفال باجتماع الشمل مرة ثانية، فالمكان له دلالة على عودة الأمل
والدفع في نفس فؤاد، وخروجه من كآبة الأماكن المغلقة.

وتستمر رحلة الأصدقاء سيراً على ضفاف النيل لينتهي يومهم بتناول
العشاء في إحدى المطاعم بالقاهرة "التابعي الدمياطي"، فكأن الكاتب نفسه
يمثل فؤاد في رحلة سياحية يقوم بها مع الأصدقاء.

يبدأ فؤاد بمعاونة أستاذه شريف بالبحث عن سكن دائم يقيم به هو
صديقه قاسم الذي ترك مسكنه المخصص لهم من جانب دراسته، ليقوم مع
فؤاد، فقد تفرق الأصدقاء في التعليم والسكن، فدخل فؤاد مدرسة السعيدية
التي أسهب الأستاذ شريف في وصفه لها بقوله "أنها أعرق مدرسة في
القطر المصري، فمعظم الوزراء في العهد الملكي درسوا في السعيدية، ومنها
انتقلوا إلى كلية الحقوق"^٢.

يتأقلم البطل على الأماكن من "المدرسة، والقاهرة وشوارعها
وميادينها، وبدأ يلمس حرارة الطيبة النابعة من كل إنسان"^٣.

ومن تنوع الأماكن اختلاف المذهب فنجد أن البحرين تجمع ما بين
الشيعة والسنة فنصف الحي والمدارس والسوق مقسم بين المذهبيين، أما

١ شقة الحرية، غازي القصيبي، ص ١٧، رياض الريس، ط ٥، ص ٢٨.

٢ المرجع السابق، ص ٤٥.

٣ المرجع السابق، ص ٤٧.

القاهرة فالغالب بها أهل السنة، مما ينتج عنه صراع فكري لاختلاف المذاهب، وهذا ما حدث بمدرسة الخديوية التي تواجد بها عبد الكريم أحد الأصدقاء الذي أدى إلى الكثير من التساؤلات بينه وبين أستاذه الشيخ حسن والطلبة.

وعندما يحدث العدوان الثلاثي على مصر يصر يعقوب أن يلتحق بالمقاومة لمساندة الجيش المصري يحلم بأن يذهب إلى بورسعيد موضع الحرب والمقاومة "تبدأ الطائرات البريطانية والفرنسية مهاجمة القاهرة، ويبدأ الإنزال المظلي في بورسعيد كيف يصل إلى بورسعيد ليقتل أول جندي بريطاني أو فرنسي يراه؟"، فبورسعيد هي موضع الأحداث والعدو الذي يريد أن يقضي على حلم العروبة.

ويظل يعقوب يحلم بالمشاركة في المعركة الحقيقية غير مكثف بالتحاقه بالمقاومة الشعبية كمتطوع من بلد عربية، ولكن هذا ما استطاع أن يحصل عليه.

وينقلنا الكاتب مرة أخرى لبطل الرواية فؤاد الذي يبصر حلم حياته في رؤية جمال عبد الناصر في ميدان من أشهر ميادين القاهرة "ميدان الأوبرا" في قوله "١ نوفمبر ١٩٥٦، في هذا اليوم في الساعة الحادية عشرة ودقيقتين صباحاً، وفي ميدان الأوبرا، أبصر فؤاد بعينه، الرئيس جمال عبد الناصر... أبصره بلحمه وشحمه، كان جمال عبد الناصر واقفاً في السيارة المفتوحة، يحي الجماهير المحتشدة وهو يبتسم ابتسامة عريضة"^٢.

ولا ينسى كاتبنا أن يعرض مكان من أعرق الأماكن بالقاهرة "جامعة القاهرة" حلم الطلاب العرب جميعاً، فقد التحق فؤاد وأصدقائه بجامعة

١ شقة الحرية، غازي القصيبي، ص ١٧، رياض الريس، ط ٥، ص ٥٢.

٢ المرجع السابق، ص ٥٥.

القاهرة لاستكمال حياتهم التعليمية، وليس هذا فحسب لا ينسى القصيبي أن يتحدث عن مكان يجتمع فيه أندر الكتب والمجلات وهو "سور الأزيكية حيث يوجد ما لذ وطاب من كتب مستعملة بأرخص الأثمان"^١.

ويشرح القصيبي على لسان فؤاد وصف انبهاره بجامعة القاهرة ويصف قاعات المحاضرات، في قوله "المدرج الهائل يستوعب أكثر من ألف طالب، والدكتور يستعين بالميكروفون كي يسمعه جميع من في المدرج الذي يمتلئ حتى لا يبقى فيه مكان لجالس أو واقف، أما الفصول الصغيرة - السكاشن حيث يدرس المعيدون - فلا يحضرها أحد"^٢، ولم ينسى مكان ملتقى الطلاب جميعاً "كان هذا البوفيه هو مقر الشلة المفضل، عندما تتحدث الشلة عن "البوفيه" بلا تحديد فالمقصود بوفيه الآداب، أما عند الكلام على بوفيه آخر فلا بد من التحديد"^٣.

ومثل منزل الست خيرية الذي يقيم فيه فؤاد وقاسم كمثل السكن الداخلي خاضع لقواعد وقوانين غير مكتوبة، ولكنها تحكم السلوك في الشقة، وكذلك شخصية الأستاذ شريف القائم بكل الأمور التي تواجه فؤاد، أو أحد من أصدقائه سواء في التعليم أو صحياً أو أمور تخص أوراق حكومية، وكان الكاتب في تناول هذا الأمر يوضح القيود التي تتحكم في فؤاد وأصدقائه.

ونرى القصيبي يبرع في نقل صورة حية لمكان من أماكن القاهرة وهي محطة القطار، فتناولها بأدق التفصيل حتى أنك تشعر بأنك تقف في هذا المكان في قوله "القطار مليء بالضجيج، ضجيج من الداخل وضجيج من الخارج، في الداخل مزيج غريب من الأصوات البشرية الباكية والضاحكة،

١ شقة الحرية، غازي القصيبي، ص ١٧، رياض الريس، ط ٥، ص ٦٥.

٢ المرجع السابق، ص ٦٦.

٣ المرجع السابق.

المشفقة من الفراق، والمتطلعة إلى اللقاء، وفي الخارج مزيج أكثر غرابة من الأصوات الباعة، المفتشون، الشيالون، والصارفة، واصطدام العجلات الحديدية الثقيلة بالشريط الحديدي^١، المكان هنا ليس صامت بل ذكره الكاتب بكل ما فيه من مؤثرات صوتية لنقل المكان في بث حي. وإلى جانب آخر يذكر الكاتب عدة أماكن دون أن يتطرق لتوسع بالحديث عنهم كمثل " مجمع التحرير وأروقته، السيدة زينب، وشارع رشدي باشا، مكتب توزيع الملازم، سينما ميترو، وجزيرة الشاي، وجنيئة الأسماك"، ولم يتناول الكاتب ذكر تفصيل تلك الأماكن، وقد ذكر بعض البلدان التي تؤيد جمال عبد الناصر وتهتف له، " دمشق، بيروت، بغداد، تونس، المنامة"^٢.

وأن كان غازي ذكر البوفيه ودوره في تجمع طلاب الجامعة مرة، عاد وتناوله بتفصيل أدق لينقل للقارئ المشهد كاملاً في قوله " جاءت القهوة وبدأ عبد الكريم يرشفها ببطء ويراقب كيف يفتح البوفيه عينيه، ويتشعب، ويمتطي، ويبدأ يومه بهدوء يثير الأعصاب. تمتلئ طاولة هنا، وفي لحظات تجئ السندوتشات وأكواب الشاي وفي لحظات، تفرغ من سكانها البوفيه كالوحش الخرافي يبتلع المئات من البشر ويقذفهم بعيداً عنه في دقائق، والطاولات تزدهم وتفرغ، وأكواب الشاي والقهوة تنهمر من الصينيات وكأنها مطر من نوع جديد"^٣.

كأننا أمام مدينة متكاملة وحياة عديدة لبشر متنوع في ذلك البوفيه، الذي تارة يصفه بالإنسان في ثنائه، وتارة بالوحش الذي يلتهم مئات البشر.

١ شقة الحرية، غازي القصيبي، ص ١٧، رياض الريس، ط ٥، ص ٦٩.

٢ المرجع السابق، ص ٨٨.

٣ شقة الحرية، ص ٩٢.

واتسمت الرواية بروح الفكاهة الممزوجة بالروح المصرية، فغازي يشعرنا أنه واحد من أبناء الشعب المصري الممزوج بنكهتهم الساخرة العالم بكل عادات وتقاليد ونوادير الشعب المصري، وذلك نحو طرافته عن أهل دمياط في قوله "اتفضلي يا مدموزيل فريدة، اتفضلي، انتي فطرتي وإلا عاملة رجيم على رأي أهل دمياط؟"^١، فقد شاع عن أهل دمياط الحرص في المعاملات المالية، وهذا أمر يدل على اختلاط كاتبنا بجميع فئات المجتمع المصري لمعرفة سمات وصفات أهل كل محافظة.

ولا يغفل القصيبي ذكر القرية في (شقة الحرية)، وكيف ذلك والرواية تشمل العديد من الطلاب الوافدين من شتى بقاع مصر من المدن والقرى، فيذكر القرية وما فيها من كتاب يجتمع فيه الأطفال لتلقي مبادئ التعليم الأولى، وكذلك الحقول الخضراء مكان اجتماع الأطفال للعب بين أعواد الذرة وأغصان الجميزة، وشاطئ التربة^٢.

ويتحقق حلم أبطال شقة الحرية في العثور على حريتهم في البحث عن شقة أخرى، وحدث الحلم فيصف كاتبنا مميزات تلك الشقة ومكانها الاستراتيجية، فيقول "وجدتها! قالها قاسم ورددتها نشأت في شارع الدري في العجوزة، الدور الثالث، والعمارة من غير مصعد (مما يتلاءم مع نزعات الأستاذ شريف الرياضية) شقة رقم ٦ موقع مثالي، لا يبعد عن الجامعة سوي ثلث ساعة بالأوتوبيس، رقم ٦ أيضاً، الشقة / الحلم أربع غرف نوم واسعة وحمامان ومطبخ، ردهة كبيرة يمكن أن تتحول إلى صالون، وطرقه يمكن أن تصبح غرفة طعام، وغرفة صغيرة للشغال أو الشغالة"^٣، لعل تلك التفاصيل الدقيقة في عرض مميزات تلك الشقة (شقة الحرية التي أطلقوا عليها ذلك المسمى) لممارسة حريتهم بها، ولكن بالرغم

١ شقة الحرية، غازي القصيبي، ص ١٧، رياض الريس، ط ٥، ٩٣.

٢ المرجع السابق، ص ٩٨، ٩٧.

٣ المرجع السابق، ص ١٠١.

من سعيهم وراء الحرية وضعوا قواعد لحماية الحقوق في شقتهم وهذا يدعو إلى مفارقة عجيبة ، تركوا السكن عند الست خيرية لخضوعهم لقيود، ولكنهم يسعون إلى وضع قيود تنظم حياتهم في شقتهم الجديدة .

وكانت أكثر الغرف أناقة هي غرفة قاسم وذلك لأن "على الجدران صور لا يجمع بينها شيء، صورة والد قاسم، وصورة والدته، وصورة عمه، صورة بالألوان لألفيس برسلي^١، صورة أخري بالألوان لبريجيت باردو^٢، وصورة لأيزنهاور^٣ منزوعة من غلاف " التايم " ^٤، تشكيلة متناقضة من الصور على جدران غرفة قاسم التي تدل على التناقض والصراع القائم في داخله.

أما غرفة يعقوب فتحتوي على صورة كارل ماركس^٥، وفرويد^٦، أما غرفة فؤاد اشتملت جدرانها على صورة لوالده ووالدته وصورة جمال عبد الناصر، وصورته مع سعاد حبييته.

وان دلت تلك الصور فأنها تدل على قناعات كل شخصية من الأصدقاء، فعلي اختلاف ميلوهم ولكن تجمعهم تلك الشقة ومن قبلها صداقتهم الناشئة من البحرين والمستمرة بالقاهرة.

وينتقل كاتبنا إلى غرفة من طراز خاص (الزنانة) التي يرتجف بها زغلول " على البلاط البارد، يللمم حوله أطرافه في محاولة يائسة للبحث عن الدفء، وخطى الأмбаشي محروس الثقيلة تروح وتجيء في الممر"^٧ .

١ مغني أمريكي.

٢ ممثلة فرنسية.

٣ رئيس الولايات المتحدة سابقاً.

٤ المرجع السابق، ص ١١٤ .

٥ فيلسوف ألماني ومؤسس الحزب الشيوعي.

٦ طبيب نمساوي متخصص في علم النفس.

٧ شقة الحرية، ص ١٤٥ .

ويتطلع كاتبنا إلى الرحلات الجامعية فيعرض لنا أدق تفاصيلها تمثلت في رحلة القناطر الخيرية التي شارك بها عبد الكريم وحبيبتة، نحو قوله "التجمع في روض الفرج، المركب الكبير الذي استوعب الحملة الطلابية، الرحلة عبر النيل...، القناطر الخيرية التي يراها لأول مرة بعد أن قرأ عنها في كتب المطالعة أيام الدراسة الابتدائية، الحداثق تمتد في كل اتجاه كأذرع خضراء تنبت من أخطبوط أخضر جميل"^١.

ثم يستعرض الكاتب ينقل صورة مخالفة لطبيعة كلية الحقوق وقت الاختبارات ، وهذا أمر تتحول فيه كل الكليات عن طبيعتها المعهودة، في قوله "تفقد كلية الحقوق شكلها الطبيعي ، وتتحول إلى ما يشبه معسكرات الاعتقال، سرادقات هائلة تغطي الأرض وتمتد في كل اتجاه، آلاف من الطلبة يرتعدون، كأنهم أغنام تساق إلى المذبح، والجو في الداخل يزيد الموقف رهبة، مفتشون غلاظ شداد في كل مكان يصرخون وعلى وجوههم شبق عارم إلى اصطياد طالب لنيم متلبس بالغش، وباعة المرطبات يهرولون بين الطاولات، والعرق يتصبب من كل الوجوه، ويدخل أستاذ المادة يرافقه فراش يحمل أوراق الأسئلة، وتوزع الأوراق بغتة، تنطلق صرخة من هنا ويغمى على فتاة ويهرع إليها الممرضون . بغتة، ويغمى على طالب، بالصراخ. صوت نشيج هناك. دموع بلا نشيج هنا. لم يكن امتحان واحد يمر دون عشر ضحايا، على الأقل، منهم من يفيق من الصدمة ويواصل الامتحان، ومنهم من يبقي في الخيمة الطبية تحت المراقبة"^٢، نحن ليس أمام وصف مكان بكلمات، بل نحن أمام مشهد حي سينمائي، يشمل صوت وحركة وصورة.

١ شقة الحرية ، ص١٣٨.

٢ المرجع السابق، ص١٧٤.

على النقيض يصور لنا مكان آخر بمشهد آخر بعد انتهاء الاختبارات وطريقة كل صديق بالتعبير عن فرحة الإجازة في (شقة الحرية)، " مع نهاية الامتحانات ينقلب الجو في شقة الحرية رأساً على عقب، عبد الكريم يحتفل بتقطيع الملازم، ويعقوب يقذف بها من الشباك لتسقط حيث شاءت، أما فؤاد وقاسم فينهجان منهج الحذر ويكتفیان بإبعاها^١، الشباك هنا ما هو إلا رمز للتخلص من الهموم والقيود، وتمزيق الملازم أيضاً صورة أخرى لتخلص من القيود، وعلى النقيض نجد الحذر متمثل في أبعادها دون خسارة التخلص منها.

ونرى الكاتب يذكر أماكن دون التطرق للحديث عن تفاصيل وصفها، سواء كانت بالسعودية مثل "عنيزة" أو مناطق مشهورة بالقاهرة اكتفى بذكرها دون تفاصيل، وكأنها معلومة للجميع لا تحتاج إلى وصف، نحو "مستشفى الكاتب، معهد الموسيقى، مستشفى العباسية، مستشفى القصر العيني، وعنبر المرضى، بار الفنانين في عماد الدين، بار الصحفيين في عابدين، بار المحاميين في باب اللوق، بار السواح والسائحات في فندق مينا هاوس، نادي الفروسية في الأهرام، الجامعة الأمريكية، مسجد الملك الصالح بالروضة، حي خان الخليلي، سينما مترو، ملهى الأريزونا بالهرم، الإسكندرية، حي إمبابية، جوربي في شارع عدلي باشا"^٢.

ثم يقوم كاتبنا بعقد مقارنة بين مساحة البحرين والقاهرة، في أن البحرين يمكن طيها بالسيارة في فترة صغيرة، فالبطل يراها صغيرة مقارنة بالأماكن المتعددة التي زارها بالقاهرة.

ويستعرض المكان الذي يجتمع فيه الأدباء والشعراء، إما أن يكون في مقهى شعبي حيث جمع فؤاد بنجيب محفوظ والعديد من الشعراء والأدباء، "

١ شقة الحرية، ص ١٧٥.

٢ المرجع السابق، ص ٣٥٢، ٢٦٦، ٢٤٥، ٢٦٦، ١٦٦، ١٩٢، ٣٥٠.

في المقهى البسيط جلس نجيب محفوظ تحيط به مجموعة من الأدباء المخضرمين والناشئين، ما أعظم الفارق بين مجلس ميشيل عفلق ومجلس نجيب محفوظ، ميشيل عفلق يتصرف وكأنه نبي يحف به حواريوه، أما نجيب محفوظ واحد من الشلة، مجرد حرفوش من الحرافيش، لا توجد هنا نظرات تقديس، ولا كلمات حكمة ساقطة من عل، بل مجموعة أصدقاء يتبادلون النكت والتعليقات ويدخنون الأرجيلة^١، يكتفى بذكر مقهى بسيط، ليناسب بساطة الجالسين وعلى رأسهم من حصل على جائزة نوبل في الأدب (نجيب محفوظ) فهو حصل عليها لصدقه وبساطة أبناء الحارة الذين نقلهم في رواياته، وليس هذا فحسب فأيضاً الجالسون معهم يتسمون بالبساطة لا تكلف ولا غرور رغم مكانتهم الأدبية.

وها هنا يتحدث عن مكان آخر لتجمع الأصدقاء، يسمى صالون مكان يجتمع فيه الأصدقاء لمناقشة القضايا والأحزاب السياسية، وقضايا الحب التي يمر بها الأصدقاء (بشقة الحرية)، وهناك صالون آخر يسمى (صالون العقاد) كان لفؤاد حظ أن يذهب إليه ليرى المبدعين من الكتاب والشعراء، الذين كانوا يجتمعون كل جمعة فيه، فيقول "اصطحبهما الأستاذ عبد الباري إلى صالون العقاد الشهير، الذي يفتح أبوابه ظهر كل جمعة، كان الصالون الصغير يغص بالرواد، وكان الأستاذ العقاد في الصدر يرتدي بيجامته صفراء أكل الدهر عليها وشرب، ويلف على رقبته شال الصوف المشهور، ويضع يده اليسرى تحت البيجامة وتركها هناك، عندما رأي فؤاد وجوه المعجبين والمعجبات تذكر على الفور مجلس الأستاذ ميشيل عفلق^٢، لم يتطرق أيضاً إلي وصف محتويات المكان بل اكتفى بكلمة صغير، ولكن وصفه لصاحب المكان العقاد يجعل المتلقي يتخيل

١ شقة الحرية، ص ١٩٩.

٢ المرجع السابق، ص ٣٣٢.

المكان ومحتوياته، وذلك يدل على براعة أسلوب الكاتب في ترك بعض الأمور لخيال القارئ .

وقد قابل أيضاً بطل الرواية أديب آخر من الأدباء في مكان آخر، وهو عميد الأدب العربي طه حسين الذي قابله بمكتب عميد كلية الآداب، فقد كان طه حسين يلقي محاضرة كل شهر على طلاب الدراسات العليا، وبعد ذلك يلتقى بمجموعة من الكتاب الناشئين ، وكما سبق لم يصف المكان وإنما تطرق لوصف طه حسين نفسه في قوله " أول ما لفت نظر فؤاد أنيقة الدكتور طه حسين، البدلة الرمادية الغامقة المكوية بعناية، ربطة العنق الحمراء المشوية بالسواد، والطربوش الذي لا يبدو أن في مصر الآن من يستخدمه غيره، كما لفت نظره أن السنين لم تزل من ملامح طه حسين الحيوية" ^١ ، وهنا أيضاً برع الكاتب في عدم تطرقه إلى وصف المكان، إنما وصف الشخصية يجعل القارئ يتخيل المكان الذي تجلس فيه هذه الشخصية بملامحها ولبسها الأنيق .

وإن كان لبطل الرواية حظ في مقابلة الأدباء والشعراء، فأيضاً تحقق حلمه في مقابلة قائده الذي طالما حلم بمقابلته وجها لوجه، فقد أتاحت له الفرصة لملاقاته جمال عبد الناصر في القصر الجمهوري بالقبة، ومن شدة تأثير الأمر على فؤاد لم يتطرق لوصف المكان بدقة بل اكتفى بإشارات بسيطة، نحو " استقبلهم موظفو التشريفات على مدخل القصر وقادوهم إلى الصالة الكبرى، اصطف الأدباء في انتظار الرئيس، أحس فؤاد بالهفة تتجمع في الجو ثم تتحول إلى كتلة صلبة تضغط على الصدر ثم دخل الرئيس وبجانبه يوسف السباعي، ضجت الصالة بالتصفيق، وابتسم الرئيس ومر على كل وفد يصافح كل عضو... وارتشف فؤاد بعينيه، ووجدانه، كل التفاصيل، الوجه الأسمر الذي يبدو الآن أوسم مما يبدو في

١ شقة الحرية ، ص ٣٣٠.

الصور، البريق النفاذ الذي يشع من العينين ، البقعتان الرماديتان تحت العينين، البدلة الزرقاء الداكنة، الكرافت الزرقاء المخططة بالأحمر، جرح الحلاقة الصغير على الذقن^١، شأن ما سبق فقد ترك وصف المكان لمخيلة القارئ واكتفى بوصف تفصيل دقيقة للشخصية المشهورة التي بدورها ترسم وصف المكان في خيال المتلقي.

ونرى الكاتب يعود مرات عديدة للحديث عن الغرفة المكان المغلق المليء بالأسرار والخبايا في حياة الأصدقاء، وهنا يتحول المكان لحضور أشخاص من نوع آخر هم الأشباح أو الأرواح كما أطلق عليهم فيصف تلك الغرفة بمحتوياتها، "ماذا يحدث أثناء الجلسة؟ نجتمع في غرفة مظلمة بعض الشيء ونستمع إلى موسيقي كلاسيكية، ونطرد كل الخواطر الدنيوية من أذهننا، ونركز كل أفكارنا على العالم الأثري..... بدأت الجلسة وجلس الحاضرون على هيئة حلقة مستديرة وأطفئت الأنوار باستثناء مصباح ضئيل يرسل خيطاً من الضوء الأصفر الشاحب، وبدأت الموسيقي"^٢.

ولكن لا يكتفي بالغرفة في تحضير الأرواح، بل ينتقل لمكان اللاوعي لدى البطل، نحو قوله "من الأفضل أن التجربة في غرفة هادئة، من غير متفرجين، وفي ضوء خافت.

دخل عبد الكريم عالم الروح ولم يستطيع الخروج، وجد فيه كل ما افتقده في العالم المادي: الحب والتفهم والإثارة والمعرف، انغمس في حوار ليلي طويل مع روح جدته، يدخل غرفته، ويقفل الباب بالمفتاح، يجري إلى القلم والورقة، وتغيم أمامه الدنيا ويعود طفلاً صغيراً ضئيلاً يلقي

١ شقة الحرية ، ص ٣٥١، ٣٥٠.

٢ المرجع السابق، ص ٢٢٩، ٢٢٨.

بنفسه في أحضان جدته التي تضمه وتقبله"^١، هذا هو المكان الذي يخلق فيه عبد الكريم بالخيال.

ومن الأماكن المتخيلة الذي تناولها القصيبي صورة السفينة والصيد في البحرين للمحار، تجمع رؤية غازي بين الحقيقة والخيال نحو "تبحر السفينة في الخلجان الزرقاء، وفي رويتها المعتاد الرز والسماك، التمر الذي ينخر فيه السوس، الماء الرمادي (النهام) وأمازيج الغوص الجماعية، ويروي كل رجل مغامراته هنا بحار يقسم أنه رأي (أبو درياه) جني البحر..... ثم يتطرق الحديث إلى (الهامة) الحوت الهائل الذي يبتلع السفن بمن فيها.... ثم يجئ ذكر (النهم) الحوت الضخم الآخر ويثور جدل عنيف، البعض يقسم أن النهم هو الهامة، والبعض الآخر يقسم أن النهم مخلوق آخر يتميز عن الهامة بحبه الشديد للأجساد البشرية..... تمر أيام الغوص رتيبة متناقلة، ها هي ذي هناك! محارة عملاقة ملكة المحارات! يدنو راشد وينزعها يدهشه ثقلها، يضعها في الكيس المتدلي من عنقه، ثم يغلبه الدوار، ويهز الحبل، ويصحو وهو على السطح، ويرى المحارة العملاقة وقد فتحت، ويرى الدانة الرائعة، أجمل ما رآه في حياته من لآلئ"^٤.

ويعود مرة ثانية إلى البحر- مكان - والصور الحية المتنوعة به ، في صورة تجمع بين الواقع والخيال تناولها في صورة رسالة يرسلها فؤاد من البحرين في إجازته الصيفية إلى ليلي الشاعرة التي تعرف عليها ، " يسرح بخياله كلما وقف على البحر، متصوراً ألف شيء وشيء متصوراً اللآلئ

١ شقة الحرية ٢٣٤، ٢٣٢.

٢ موروث شعبي قديم ونشيد ينشده الغواصين مأخوذ من الهزج.

٣ هي الجوهرة الثمينة، كما أنها حبة اللؤلؤ.

٤ شقة الحرية، ص ٢٤٣.

الناعمة في أحضان المحار، متصوراً قطعان الجراجير^١ المفترسة، متصوراً غابات المرجان، متصوراً أسراب حوريات البحر الحسان، ... يقف أمام المياه الزرقاء التي تناديه إليها، يبدأ في الخوص ثم يبدأ في السباحة، ثم يأخذه التيار بعيداً، يشعر بنشوة رائعة والتيار يدفعه إلى جزر صغيرة لم يرها من قبل، ثم يحس بتعب لذيذ، يمتصه التيار الآن، يجذبه إلى الأعماق، ويفتح عينيه، فيرى كل العوالم التي كان يحلم بها^٢.

وفي صورة أخرى تجمع ما بين الواقع والخيال تناول الكاتب اختلاف مكان الدفن بين مصر والبحرين، ويوضح أن هناك اختلاف بين مدافن الشيعة وأهل السنة في البحرين حيث لا يجتمعون في مقابر واحده، نحو " هنا في مصر لا يدفنون الموتى، بل يضعونهم في غرف صغيرة ويغلقون عليهم الباب، عادة فرعونية قديمة. لا! الأغنياء وحدهم هم الذين يملكون منازل في القرافة. والفقراء؟! الفقراء يسكنون التراب. مثل موتى البحرين. في المنامة مقبرتان. واحدة للشيعة في رأس رمان. وواحدة للسنة في القضيبية أمة عربية واحدة إلا في الموت نخاف أن يتجنس أموات السنة من أموات الشيعة، والعكس بالعكس، السنني ما يغش، والشيعي ما يصافي. ها ها ها! ماي غش! وماي صافي! إفهموها بقي! لقاء في الحياة، وفراق في الموت، والموعد الجنة إن شاء الله^٣، وهنا نرى صورة فلسفية لواقع الاختلاف بين المذاهب؛ حيث يلتقوا في الحياة لكن في الدفن كلاً في مقبرة مخالفة.

١ أسماك القرش المفترسة بالبحريني.

٢ شقة الحرية، ص ٣٦٨.

٣ المرجع السابق، ص ٣٦٨.

٤ المرجع السابق، ص ٣٥٦.

ويعود كاتبنا للواقع في نقل وصف مكان بالقرب من النيل، منزل أحد الأصدقاء الذي كان والده من الإقطاعيين " يدور الحديث في حديقة الفيلا الكبيرة بقرب النيل على مرمي حجر من دار شوقي الشهيرة (كرمة ابن هاني)، قضي الإصلاح الزراعي على الجزء الأكبر من ثروة الباشا، وتبقت منها في العمارات والأسهم، أما روتين الفيلا فيظهر أنه لم يتغير منذ أيام الملكية، المكان يعج بالخدم، يروحون ويجيئون بكامل أناقتهم من الطربوش اللامع، إلى الجلابية اللمعة، إلى الحذاء اللامع"، مكان من الواقع الذي كان قبل قيام الثورة، واستمر حتى بعد قيام الثورة لبعض الباشوات كما كان يطلق عليهم.

ويتحدث الكاتب عن السجن الذي حبس فيه يعقوب، فهو يخالف كل السجون بكل محتوياتها فيصفها وصف دقيق "أخذوني في البوكس إلى فيلا عادية في العباسية، فيلا سكنية صغيرة لا توجد على بابها يافطة، ولا يقف أمامها جندي، وضعوني في غرفة فيها سرير مريح وتركوني بعد أن أقفلوا الباب من الخارج، لم يكن في المكان سواي وسوى الحارس، يجئ الفطور في الثامنة، والغداء في الواحدة، والعشاء في الثامنة، طعام ممتاز يبدو أنه من مطعم، إذا أردت الذهاب إلى الحمام وقفت علي الباب وجاء الحارس وأخذني وأعادني، لا قيود ولا ضرب ولا إهانات، ولا تحقيق، مجرد سجن انفرادي، الراديو؟ ممنوع!، الجرائد؟ ممنوع!، التليفون؟ ممنوع!، الزيارات؟ ممنوع!، بعد أربع أيام جاء نجار ووضع فوق الشباك لوحاً سميكاً من الخشب، لم يعد بوسعي أن أري ضوء النهار، أخذ الحارس ساعتني، ووضع مصباحاً كهربائياً ضعيفاً بدل من المصباح القديم، ولم يعد يسمح لي بالخروج إلى الحمام، جاء بجردين طلب إلى تحويلهما إلى دورة المياه، أصبحت فأراً في جحر مظلم، لا أعرف الليل من النهار

ولا الشروق من الغروب، فقدت عقلي تدريجياً..... بدأت أري جنوداً ملء الغرفة، وأبصر المشانق تتدلي من السقف، وأسمع الصراخ آتياً من كل مكان^١، تحمل الصورة السابقة سجن انفرادي معدل للضغط على المسجون فينهار ويدلي بكل ما يقال له حتى يهرب من هذا الضغط النفسي الذي يؤدي به إلى الجنون.

ويتحدث كاتبنا عن أماكن النقاء العشاق بعد عرضه للحديث عن السجن والقبر، فيعود لصورة حاملة تجمع بين الواقع والخيال في مكان يسمى (العش الصغير) بحي الهرم للاحتفال برأس السنة، فيشرح فؤاد في وصف ذلك المكان بقوله "يجزم فؤاد أن المهندس الذي صمم هذا المكان لابد أن يكون عاشقاً أزعجه أن تظل القاهرة بلا أعشاش يأوي إليها العشاق. أسف فؤاد على الأعوام التي ضاعت قبل أن يعرف (العش الصغير) في المنتصف حديقة جميلة وعلى جانبيها تمتد الأعشاش، الحواجز الخشبية، وفي داخل كل عش طاولة ومقعدان، لا يري أحد في الخارج ما يدور داخل العش المحاصر بالشجيرات، ولا يري أحد في داخل العش ما يدور في الخارج، الجرسون لا يأتي إلا إذا ضغط الزبون على الجرس، ثم يأتي بالطلب ويختفي، شعر فؤاد أنهما الآن بمنأى عن العالم كله"^٢.

ويعود كاتبنا إلى شقة الحرية التي كانت قد فقدت بعض من مظاهر السعادة؛ لتشتت بعض الأصدقاء فيصفها في قوله "لم تعد الضحكات تصاحب كل ساعة من ساعات النهار ومعظم ساعات الليل، لم يعد صوت الصراخ ينطلق من كل غرفة، اختفت البنيات، غابت الزهور، ازدحم الحمام بالملابس القذرة، متطايرات المقالب الصبانية اليومية، رجع عبد الكريم

١ شقة الحرية ، ص ٣٧٩.

٢ المرجع السابق، ص ٣٧٠.

إلى ارتداء قمصانه الداكنة وكرفاته الغامقة، نسيت عيشة وصفات الطبخ الجديدة التي تعلمتها، تحول المكان إلى فندق كئيب لا يأوي إليه سكانه إلا مضطرين في ساعات النوم^١.

على النقيض يتحدث عن فيلا ليلي التي لم تكن بيتاً عادياً من مظاهر الترف الموجود به عكس ما كانت تدعوا إليه الثورة، فيقول "أثاث رائع، لوحات زيتية أخاذة، أضواء خافتة، موسيقى تنبعث من مكان مجهول السجاد الذي يزرى بسجادة قاسم اليتيمة (لا يعرف فؤاد كيف تمكنت من إدخال كل هذا السجاد عبر الجمرك عبد الحكيم عامر؟!)." الستائر الزرقاء المخملية، الصور الفتوغرافية. مشاهير العالم العربي صورها مع المشاهير.. عالم غريب، عالم من الساسة والشعراء، من الثوار والحكام، من الأغنياء والفقراء^٢، هذا مكان إقامة ليلي التي ورثته من زوجها الثري، وعلى النقيض مكان إقامتها في بيت الطالبات بغرفة "ومن ناحية الغرفة المتواضعة في بيت الطالبات"^٣ فهنا تناقض في حياة تلك الفتاة التي تجمع بين الثراء من زوجها المتوفي، والفقير الذي ورثته من أسرتها المتواضعة، ظهر ذلك في المكانين اللذان تناولهما الكاتب في حياتها.

ولم يغفل كاتبنا الحديث عن بيروت التي عاش بها فترة يعقوب ولكن سرعان ما يعود إلى القاهرة، وكذلك حديثه عن دولة فلسطين ومأساة الاحتلال بها.

١ شقة الحرية ، ص٣٨٨،٣٨٧.

٢ المرجع السابق، ص٤٠٨،٤٠٧.

٣ المرجع السابق.

وكما ذكر الكاتب في الرواية أول اجتماع للأصدقاء في كازينو على ضفاف النيل، يجتمعون مرة ثانية في نهاية رحلتهم الدراسية لاحتفال بتخرجهم ويستمعون إلى القصص التفاصيل^١.

وتنتهي الرواية بنفس الشعور الذي بدأ به الكاتب الغربية، ولكن فؤاد يبحث عن كيف تتحول القاهرة مكان للغربة بعد تلك السنوات التي عاش بها؟ كيف تحول من فؤاد أفندي إلى فؤاد بيه؟ هو لم يتغير لماذا تحولت الحياة لتلك الصورة، ولكن نراه يبكي فراقه لها فيقول "أواه يا قاهرتي! أيتها المدينة التي ضمتني إلى صدرها الكبير، وتنتني، التي منحنتي شهادة الليسانس في الحقوق وبتقدير جيد جداً ومرتبة الشرف لولا أستاذ الفرنسية الدجال، وأعطتني مجموعتي القصصية الأولى (أقصد نصفها)، وسأقتني إلى ليلة الحب الأولى. القاهرة التي تغص بالملايين، هل ستذكر هذا الفتى الذي أعطاها خمس سنوات من عمره، الذي ترك شيئاً من حياته في أوتوبيس رقم ٦، وشيناً في ميدان التحرير (المجمع العتيق!) وشيناً في السعيدية، وشيناً كثيراً في شقة الحرية"^٢، ويستمر الكاتب علي لسان البطل فؤاد في سرد ذكرياته بالقاهرة كنوع من المنولوج الداخلي الذي كثر استخدامه في الرواية فهو يشكل دوراً مهماً لأنه عنصر أساسي في البناء العضوي لها^٣، نحو "الذي يودع الآن. يفتح روحه ويخترن كل ما يستطيع اختزانه من الأشياء القاهرية. الوجوه. الروائح. المقاهي. الكشري. البقسماط والبيض المسلوق. يا أمه القمر على الباب. أنت وبس اللي حبيبي. سور الأزبكية. جزيرة الشاي. كل كبده ومخ باطمئنان. وأقرأ

١ شقة الحرية ، ص٤٤٦ .

٢ المرجع السابق، ص٤٦٢ .

٣ فن الرواية في المملكة العربية السعودية، السيد محمد ديب، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١٩٩٥:٢م، ص٢٧٠ .

الفاتحة للسلطان. تلمح يا بيه؟ (روزا).. (صباح الخير) ... (أهرام). السحلب. هل ستذكرين هذا الفتى الذي سيأخذ معه كل هذه الأشياء إلى نيويورك. وعندما تطبق عليه ناطحات السحاب، ويهاجمه رعاة البقر، سوف يقف متحدياً، يقزز لب، ويصرخ في الأمريكان: (يا ناس يا شر! كفاية قر!)؟" اختزل كاتبنا أو البطل كل ما عاشه في القاهرة ليذكره بكل ذكرياته بها في سفره القادم إلى أمريكا لاستكمال دراساته العليا، ونراه يتحدى أن تؤثر فيه أمريكا؛ لأنه كسب حصانة مصرية بكل ما عاشه فيها من أغاني، وطعام، ودفء، وعلم.....، وتختتم الرواية بأول مشهد بدأت به فؤاد بالطائرة وهو ذاهب إلى عالم مخالف عن العالم الذي نشأ به (البحرين) ، والمكان الذي تعلم فيه (القاهرة) والدموع تنهمر من عينيه، ويتساءل لماذا البكاء وهو ينظر من شباك الطائرة على مدينة القاهرة، "ينظر فؤاد من شباك الطائرة إلى القاهرة التي بدأت تختفي وراء الأفق، وتنهمر دموع صغيرة كثيرة من عينيه.

فؤاد لماذا تبكي؟

فؤاد ماذا تفعل؟ لماذا تبكي؟

ينظر فؤاد إلى المدينة التي اختفت تماماً الآن، ولا يرد^٢.

هذا سحر القاهرة بكل ما تحمله من معاني دفاء وظلم، حب وكراهية، نور، ونار، وظلام، تحتضن الجميع لا تفرق بين غريب أو قريب الكل واحد، بها يجتمع الأدباء والشعراء والساسة، والمتقفين، الغني والفقير، ملاذ لكل البشر.

١ فن الرواية في المملكة العربية السعودية، السيد محمد ديب، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١٩٩٥: ٢م، ص ٤٦٣.

٢ المرجع السابق.

المبحث الثاني:

انعكاسات المكان على عناصر الرواية

استطاع القصيبي من خلال تنوع المكان أن يظهر مختلف الانفعالات والطبائع، ومشاعر الحب والشوق، الحزن واليأس، التعالي والمسكنة، الضياع والشقاء، الانتقام والألم، الغربة والحنين، الانتماء والعزلة، كل ذلك من خلال كثرة العوامل المتحكمة في سلوك الشخصيات والعلاقات بينها وبين الأماكن المحيطة بها.

أولاً: دلالات المكان:

كان لتنوع المكان في رواية (شقة الحرية) دوراً في تحرك البطل وأصدقائه، ينتقل فيه ومنه وإليه، في إطار من الدلالات التاريخية، والدينية، والثقافية، والاجتماعية، على النحو التالي:

دلالات تاريخية:

كانت بداية الأحداث التاريخية دعوة الوحدة العربية التي نشأت بين مصر وسوريا، وكان حلم العرب أن تتم على جميع البلدان العربية، وكذلك حادثة تأميم قناة السويس، وأثر ذلك في حدوث العدوان الثلاثي على بورسعيد، وتناول مأساة فلسطين التي تعاني تحت قبضة الاستعمار.

دلالات دينية:

لم تتركز الرواية هنا على دلالات دينية قصدتها الكاتبة، إنما جاءت تلقائية أملتها الحياة اليومية، كحديث الأم مع فؤاد قبل سفره بقولها:

"هل كتبت الآية يا بعد كبدي؟ هل كتبتها يا بعد روعي؟

نعم، في عدة محلات.

أمه لا تترك أحداً يسافر إلا بعد أن يكتب على الجدار الآية الكريمة:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ يَاهُدَىٰ
وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^١، تؤمن أمه إيماناً لا يخالجه شك أن من يكتب هذه
الآية لابد أن يعود من سفرته سالماً بإذن الله، هذه المرة كان إصرارها
أكثر من العادة، ولم تطمئن حتى رأتها مكتوبة بخطه ثلاث مرات^٢.
حديث فؤاد مع صديقه رؤوف الذي ينتمي إلى فكر الإخوان
المسلمين، وفكره المتطرف في رؤيته أن مصر ليست بلداً مسلمة، نحو:
أنت تنظر إلي الإسلام على أنه مجرد شعائر: صلاة وصيام
ورمضان وعيد، هذا جزء من الإسلام وليس الإسلام كله، الإسلام أن تحكم
بكل ما أنزل الله، كله لا بعضه.
هذا هو الكلام الذي يقوله المشايخ في السعودية، فيعتبرهم الجميع
رجعيين.

هذا ليس كلام مشايخ، هذا ما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى
الله عليه وسلم في قرآنه المجيد: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا
التَّيْبُوتَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيْنِوْنَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا
قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^٣، أليست العبارة
واضحة كل الوضوح؟

يا رؤوف! حرام عليك! لقد قرأت القرآن كما قرأته أنت، الحديث هنا
عن اليهود والنصارى^٤

١ سورة القصص، آية ٨٥.

٢ شقة الحرية، ص ٢٢.

٣ سورة المائدة، آية ٤٤.

٤ شقة الحرية، ص ٢١٦.

كذلك تحدث الكاتب عن قضية المذاهب الدينية بين السنة والشيعة، ورفض قبول الأب من زواج عبد الكريم من فتاة مصرية من أهل السنة، وليس ذلك فحسب بل التفارقة بينهم في الموت فلكل مذهب مقابر خاصة به في البحرين^١.

ذكره للصلاة في مسجد الملك الصالح بحي الروضة، في قوله "بعد تجربته الرهيبة مع عالم الروح، لجأ عبد الكريم إلي عبد الرؤوف باحثاً عن تفسير، وأجاب عبد الرؤوف:

اسمع يا كريم، تعال صل الجمعة معنا، في مسجد الملك الصالح في الروضة، حيث أصلي مع فؤاد، سنجتمع بالإمام، الشيخ رضوان، وهو عالم مطلع ويوسعه أن يجيب على تساؤلاتك"^٢.

ويعود مرة أخرى للمفارقة الدينية العجيبة بين المذاهب فيقول على لسان عبد الكريم الذي يستعجب من حاله، فيقول "يضحك عبد الكريم، انقلبت الدنيا رأساً على عقب، حبيبة يتفق معها على الزواج فتزوج غيره بمجرد سفره، جدة تطلب منه الانتحار، وأخيراً، صلاة في مسجد السنة! وأي صلاة؟ صلاة الجمعة! هذه الصلاة التي يعتقد شيعة البحرين أنه لا يوجد في البحرين كلها عالم تتوفر فيه شروط إمامتها سوي أبيه وأبوه يصر على الرفض من باب التواضع، حسناً! فلينقلب مع الدنيا المنقلبة، ليصل الجمعة مع السنة"^٣.

دلالات ثقافية:

توحي العديد من الأماكن في الرواية على دلالات ثقافية، كجامعة القاهرة وقاعاتها الدراسية وطلابها وأساتذتها، وكذلك مدرسية السعيدية

١ شقة الحرية، ص ٣٥٦.

٢ المرجع السابق، ص ٢٥٠.

٣ المرجع السابق.

والخديوية التي التحق بها الأصدقاء قبل دخولهم الجامعة، استشهد الكاتب ببعض من أبيات المتنبي ، وأبى نواس، لقاء فؤاد بكل من الأديب نجيب محفوظ، طه حسين، العقاد واستمتاعه بالمناقشات الأدبية التي دارت بينهم، حضوره لمؤتمر الأدباء الذي أقيم بمصر للأدباء البحرنيين، مناقشاته العديدة مع أساتذته في الجامعة، رحلة فؤاد في نهاية القصة لاستكمال دراسته إلي نيويورك ، كل ذلك يدل على الحياة الثقافية النابضة التي عايشها البطل وأصدقائه في القاهرة.

دلالات اجتماعية:

تزخر الرواية بالعديد من القضايا الاجتماعية، حيث صورت لنا شخصيات تمثل طبقات معينة في أرض مخصوصة، وفي زمن معلوم، وأظهرت ما يخص تقاليد الشخصيات وعاداتها ، مثل فؤاد الذي مثل الطبقة الغنية بين أصدقائه ، وعبد الكريم الذي ينحدر من عائلة دينية عريقة، فأبوه شيخ وجده كذلك، وهو كريم إلي حد السفه، أما يعقوب فهو ينحدر من عائلة فقيرة عانت في البداية، الكثير من شظف العيش، كان غضبه شديد بسبب حالته الاجتماعية مما جعله في ثورة عارمة على المجتمع ويرغب في نفسه، أما قاسم فهو نقيض يعقوب ينتمي إلي فئة البورجوازيين الجدد ، فكان أبوه عاملاً بسيطاً في أول حياته، ولكنه كان عصامياً، انتهى به المطاف مليونيراً .

تحدث أيضاً عن قضية التكافل الاجتماعي الذي يرى أنه بتحقيقه بالصورة الصحيحة يحقق السلام بين أفراد المجتمع، وكذلك تناول صورة الفقر المتمثلة في بائعات الهوى التي سلطنا هذا الطريق حتى يستطعن العيش هن وأسرهن.

وقد تناول أيضاً صور بيوت الباشوات، وما تحتويه من أنواع الترف والفخامة كالأثاث والمفروشات، كذلك المفارقة التي تعيش فيها ليلي الشاعرة صديقة فؤاد ما بين الفيلا الفارهة التي ورثتها عن زوجها الأول، وحياتها في غرفة متواضعة في بيت الطالبة.

ثانياً: انعكاس المكان على الشخصيات:

لا يكتمل الحديث عن المكان، إلا إذا اقترن المكان بالشخصية، فهي التي تتحرك في إطار قوة فاعلة ومؤثرة، لذلك فقد أولاهما النقد عناية خاصة، فاهتم بمفهومها وأنواعها، وبكيفية رسمها وإخراجها للقارئ، فهي ليست معطى قبلياً وكلياً، وتحتاج إلى بناء تقوم بإنجازه الذات المستهلكة للنص زمن فعل القراءة^١.

لذلك حرص كاتبنا غازي القصيبي على اختيار المكان الملائم للشخصية، حتى يتمكن من إظهار سلوكها ومختلف ملامحها، كشخصيات الأصدقاء في شقة الحرية، وقاعات الدرس، فارتباط المكان الروائي بالشخصية هو طبيعة العلاقة بين الإنسان ومحيطه، فقد أثبتت الدراسات أن الإنسان مرتبط كثيراً بالمكان الذي يعيش فيه، لأن علاقة الإنسان بالمكان علاقة جدلية تتشكل من خلالها عملية التأثير والتأثر بينهما، وذلك ما حدث في شخصية فؤاد حيث اختلفت شخصيته الخجولة المستكنة بالبحرين عن شخصيته المنفتحة المتحررة في القاهرة.

فقد تلوّنت شخصية فؤاد وأصدقائه وفقاً للمكان المحيط بهم، فالمكان له دلالة تفوق دوره المألوف، إنه يتحول إلى محور حقيقي ويفتح عالم السرد محرراً نفسه من أغلال الوصف^٢.

١ سيكولوجية الشخصيات الروائية، هاملون فليب، ترجمة: سعيد بن كراد، دار الكلام، الرباط، المغرب، ط١، ١٩٩٠م، ص ٩٠.

٢ بنية النص السردية، ص ٧١.

حيث يبدو المكان وكأنه نسخة لسلوك وطباع الشخصية، ويسهم في رسم معالمها، وهذا ما يظهر واضحاً في رواية (شقة الحرية)، فقد ربط الكاتب بعض شخصياته بأماكن معينة، ليبين لنا أن هذه الأمكنة نسخة مطابقة لسلوك وطباع تلك الشخصيات، فمثلاً المقهى الشعبي المناسب لشخصية نجيب محفوظ وأصدقائه من الأدباء، على النقيض صالون العقاد والأدباء المجتمعين لديه، منازل الباشوات، وما فيها من ترف متمثل في تلك الشخصيات، البنسيون الذي أقام به فؤاد أول قدومه للقاهرة، وتنوع الشخصيات من كافة الجنسيات والطبقات به.

كما نجد أن القصصي ركز على التأثيرات النفسية التي يتركها المكان في الشخصية من خلال المنولوج الداخلي، وتصوير الحالة النفسية التي تعاني منها الشخصية، كحوار فؤاد مع نفسه في حديثه عن حبه الأول لسعاد الشامية، وحبه للمغنية شاهيناز، وعلاقته بليلي الشاعرة، في كل حالة حب يمر بها يكثر من المنولوج الداخلي لدى شخصية فؤاد.

ثالثاً: انعكاس المكان على الوصف:

يُعد الوصف دعامة رئيسة من الدعائم التي تقام بواسطتها المشاهد المكانية في الرواية لتعرض أمام القارئ، وهو أداة فاعلة في التعرف بالمكان وجوهره وتجسيده، والكاتب حين يتجه إلى وصف المكان يفتح أمام القارئ آفاقاً لاستعادة أماكن خاصة به تعود إلى ماضيه المختزن في الذاكرة^١.

وقد يشكل الوصف في الرواية أهمية كبرى، وهو إما أن يكون وصفاً موضوعياً يستخلص عناصر المكان الخارجية التي تساعد على معرفة الشخصية، وما يميزها من صفات تختلف عن الشخصيات الأخرى، والوصف النفسي يعني بوقع الأماكن على النفس ومدى تأثرها بها، وما

١ في نظرية الرواية، ص ١٥٠.

يطبع الأماكن بطابع شعوري خاص، فالأماكن تحمل قيم شعورية مؤثرة تتضح من خلالها عمق الشخصية.

وقد عمد الروائي القصيبي إلى وصف الأماكن والشخصيات وصفاً تفصيلاً دقيقاً كوصفه لفؤاد من حيث تفاصيله الجسدية، واهتمامه بوصف شقة الحرية، ووصفه للغرف التي يقيم بها الأصدقاء، مدرجات الكلية، مدرسة السعيدية، بيوت الباشوات، رحلة الصيادين في البحر لاستخراج المحار بالبحرين، وصفه لنهر النيل، كقوله " النهر أوسع بكثير مما كان يظن، وأجمل بكثير، الحياة على ظهر النهر لا تنقطع، أشكال وألوان من السفن والقوارب تروح وتجيء، أصداً أغنية هنا وضحكة هناك، شعر أنه يلتحم بالتاريخ، لا يجلس بقرب مجرى ماء، وإنما على عتبة الحضارة"^١، وصفه لحبيبته وملاحها، وصفه الدقيق لملاح القائد جمال عبد الناصر عندما قابله في القصر الجمهوري.

رابعاً: علاقة السرد بالمكان:

السرد يعني نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية^٢، وهو له معنيان خاص وعام، أما الخاص فيتمثل في الإفضاء بتوالي الحدث عبر سياق متصل متطور محدد بالزمان والمكان في وحدات لغوية إخبارية دون حوار، أما المعنى العام فيتمثل في أسلوب نقل الحدث وتطوره والإفضاء به عبر أشكال متعددة وخطابات متباينة من قص متزامن بزمن إلى مشهد وصفي يتجاوز في الخطاب السردى بالمعنى الخاص مع الوصف، وما يعرف في أدبيات القصة بالتلخيص والثغرة وما إلى ذلك^٣.

١ في نظرية الرواية، ص ١٥٠.

٢ الأدب وفنونه، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، مصر، ط ٦، ١٩٧٦م، ص ١٨٧.

٣ نقد الفنون السرديات وطرق تحليلها وتدرسيها، محمد صالح الشنطي، سلسلة اللغة العربية قضاياها ومشكلاتها، ص ٣٧١.

والسرود الذي كثر استخدامه في رواية شقة الحرية، هو:

- القص من خلال ضمير المتكلم، بحيث يكون الكاتب هو الراوي من خلال ضمير المتكلم، وقد كثرت تلك الصورة في العديد من أحداث الرواية فقد كان القصصي هو الراوي الذي يروي تفصيل الأحداث والشخصيات والأماكن، مثل " الذي يودع الآن. يفتح روحه ويختزن كل ما يستطيع اختزانه من الأشياء القاهرية. الوجوه. الروائح. المقاهي. الكشري. البقسماط والبيض المسلوق. يا أمه القمر على الباب. أنت وبس اللي حبيبي. سور الأزبكية. جزيرة الشاي. كل كبده ومخ باطمئنان. وقرأ الفاتحة للسلطان. تلمح يا بيه؟ (روزا).. (صباح الخير) ... (أهرام). السحلب. هل ستذكرين هذا الفتى الذي سيأخذ معه كل هذه الأشياء إلى نيويورك. وعندما تطبق عليه ناطحات السحاب، ويهاجمه رعاة البقر، سوف يقف متحدياً، يقزز لب، ويصرخ في الأمريكان: (يا ناس يا شر! كفاية قر!)؟^١.

القص الاسترجاعي، فقد اتكأ القصصي على الماضي ليسترجع الذكريات، كقوله " أواه يا قاهرتي! أيتها المدينة التي ضمتني إلى صدرها الكبير، وتنتني، التي منحتني شهادة الليسانس في الحقوق وتقدير جيد جداً ومرتبة الشرف لولا أستاذ الفرنسية الدجال، وأعطتني مجموعتي القصصية الأولى (أقصد نصفها)، وسأقتني إلى ليلة الحب الأولى. القاهرة التي تغص بالملايين، هل ستذكر هذا الفتى الذي أعطاها خمس سنوات من عمره، الذي ترك شيئاً من حياته في أوتوبيس رقم ٦، وشيئاً في

١ نقد الفنون السرديات وطرق تحليلها وتدرسها، محمد صالح الشنطي، سلسلة اللغة العربية قضاياها ومشكلاتها، ص ٤٦٣.

ميدان التحرير (المجمع العتيد!) وشيئاً في السعيدية، وشيئاً كثيراً في شقة الحرية^١.

- الحوار والمنولوج: اشتملت الرواية على الكثير من الحوارات بين فؤاد وأصدقائه، ومع أساتذته، ومع محبوبته، والعديد من النقاشات التي دارت بينه وبين طه حسين، نجيب محفوظ، العقاد، والمناقشات التي دارت حول القضايا السياسية والأحزاب، وحواره مع الأسطى محبوب السائق الذي ركب معه، نحو " أهلاً وسهلاً شرفت يا بيه، حضرتك منين؟ من البحرين.

ألف مرحباً، إنما لا مؤاخذة يعني البحرين تجي فين؟
فكر فؤاد في جواب بسيط يمكن أن يستوعبه السائق:
قرب السعودية، الساحل الشرقي للسعودية.

تهلل أسارير الأسطى محبوب:

السعودية؟ الحجاز! ما شاء الله، اللهم صل على النبي، مكة والمدينة أوعدنا يا رب^٢.

وعن المنولوج الداخلي يعد تقنية سردية مهمة لأنها تفتح للمتلقي آفاقاً يطل منها على لا شعور الشخصية الأساسية في الرواية، أو الشخصية المحورية في الرواية، كقوله "الذي يودع الآن. يفتح روحه ويختزن كل ما يستطيع اختزانه من الأشياء القاهرية. الوجوه. الروائح. المقاهي. الكشري. البقسماط والبيض المسلوق. يا أمه القمر على الباب. أنت وبس اللي حبيبي. سور الأزبكية. جزيرة الشاي. كل كبده ومخ باطمئنان. وأقرأ الفاتحة للسلطان. تلمح يا بيه؟ (روزا).. (صباح الخير) ... (أهرام).

١ نقد الفنون السرديات وطرق تحليلها وتدرسها، محمد صالح الشنطي، سلسلة اللغة العربية قضاياها ومشكلاتها ، ص ٤٦٢.

٢ المرجع السابق، ص ٢٨.

السحلب. هل ستذكرين هذا الفتى الذي سيأخذ معه كل هذه الأشياء إلى نيويورك. وعندما تطبق عليه ناطحات السحاب، ويهاجمه رعاة البقر، سوف يقف متحدياً، يقزقز لب، ويصرخ في الأمريكان: (يا ناس يا شر! كفاية قر!)؟^١.

- طريقة القص المحايد، فيختفي السارد وراء شخصه الروائية ليترك مخيلة القارئ تري مكان جريان الحدث، كنحو قوله "تحول فؤاد فوراً إلى مجنون شاهيناز.... أعرب عن استغرابه لأنه لم يراه في الكلية من قبل، وأوضحت له أنها طالبة منتسبة لا تحضر إلا خلال الامتحانات"^٢.

"كانت المشكلة الأساسية التي تواجه فؤاد عند التعرف على زميل جديد هي أنه لم يسمع عن البحرين من قبل، هناك دائماً نظرات مشوبة بالاستغراب والفضول، ويزيد الطين بله عمل والده، كان فؤاد يرد ببساطة، على كل من يسأله عن مهنة أبيه أن أباه يبيع مجوهرات"^٣.

خامساً: انعكاس المكان على اللغة:

ترتبط لغة الحكاية الروائية بالشخصيات الذين يحكونها، لذلك تأتي صياغتها بحسب انتماءاتهم الاجتماعية وتنوع أماكنهم، فكلما تنوعت الأماكن تنوعت اللغة المتداولة في النص، كمعرفة أن فؤاد وأصدقائه ليسوا من مصر من خلال لكانتهم، وكذلك سعاد التي عرف أنها غير مصرية من حديثها، "قالت له الفتاة:

لهجتك ليست مصرية، من أين؟
من البحرين.

١ نقد الفنون السرديات وطرق تحليلها وتدرسها، محمد صالح الشنطي، سلسلة اللغة

العربية قضاياها ومشكلاتها، ص ٤٦٣.

٢ المرجع السابق، ص ١٥٩.

٣ المرجع السابق، ص ٤٨.

لم تكن هناك علامات الاستغراب المعهودة، يبدو أنها سمعت عن البحرين من قبل.

وأضاف فؤاد:

ماذا عنك؟ لهجتك، بدورها، ليست مصرية.

أنا من الشام، سعاد وزان.

فؤاد الطارف"¹.

وقد يمزج العامية مع الفصحى كما حدث مع الأسطى محبوب وفؤاد، "أنا أعرف بنسيون في الزمالك إنما لوكس، (حورس هاوس)، كله ذوات، ومش غالي قوي، إيه رأي حضرتك أوديك هناك؟"²، "استقبله الأسطى محبوب بشوق، وبابتسامة كبيرة:

صباح القشطة يا فؤاد بيه، صباح الفل، على فين أن شاء الله؟"³.

زواج الأب من امرأة أخرى والأم ترضى بذلك فيدور الحوار بين الأم والابن نحو "تقبلت الأمر الواقع وتأقلمت معه، بل أنها بذلت أقصى جهدها لإعادة العلاقة بينه وبين أبيه، خلال زيارتها إلى القاهرة وعبر رسائلها، كانت النصائح تتوالى، (الدم لا يتحول إلى ماء)، (والظفر لا يخرج من اللحم)"⁴، وكذلك حواراه مع الأب وزوجته الجديدة، "حضري الأوضة يا فردوس.

وتتكلم فردوس:

وحياتك يا سي محمد، يمكن نعوز دكتور في الليل ولا حاجة"⁵.

١ نقد الفنون السرديات وطرق تحليلها وتدرسها، محمد صالح الشنطي، سلسلة اللغة العربية قضاياها ومشكلاتها، ص ٧٦، ٧٥.

٢ المرجع السابق، ص ٣٠.

٣ المرجع السابق، ص ٣٣.

٤ المرجع السابق، ص ٧٠.

٥ المرجع السابق، ص ٧١.

ومما سبق فقد حفل غازي القصيبي بلغته في الرواية، وكيف لا يكون ذلك وهو شاعر وروائي كبير مبدع، امتزج ببيئات عديدة، وعلم الفروق بين اللهجات ببلدان الوطن العربي، وكذلك اختلاف اللغة بين شخصيات وأماكن رواياته وأعماله الأدبية.

الخاتمة

- سعت هذه الدراسة إلى معرفة الدلالة الفنية للمكان بأشكاله المختلفة في رواية "شقة الحرية" للأديب غازي القصيبي، مستنبطة أشكاله وأبعاده ودلالاته وأنواعه، والفرق بين كل من الفضاء والحيز. ومن خلال هذه الدراسة توصلت إلى عدة نتائج، من أهمها:
- المكان له دور كبير في العمل الروائي، إن لم يكن أهم المقومات الروائية.
 - كانت رواية شقة الحرية هي المحاولة الأولى لغازي القصيبي، فزخرت بجماليات فنية عديدة على رأسها عنصر المكان الذي اختزل فيه شحنات عاطفية جياشة.
 - حظي المكان كعنصر من عناصر الرواية باهتمام الروائي غازي القصيبي، فهو يراه كواقع حقيقي، وكبناء فني، على امتداد مساحة الرواية.
 - تنوع المكان في الرواية بين أمكنة مفتوحة كنهر النيل، والحدائق، والقاهرة، وأماكن مغلقة اختيارياً كغرف الأصدقاء وشقة الحرية، وأمكنة شبه مغلقة كالمدرج والفصل، والمقهى الشعبي، والسيارة، وأماكن مغلقة إجباري كالسجن، العنبر في المستشفى، المدفن.
 - استأثرت بعض الأمكنة باهتمام الكاتب كنهر النيل، شقة الأصدقاء الذين أطلقوا عليها شقة الحرية، والقاهرة التي لها حضور دائم في معظم الرواية.
 - يمكن حصر المكان لدى القصيبي في تلك الرواية، رغم تنوعه إلى نوعين هما:
الأمكنة الرئيسية: وهو القاهرة التي اشتملت على المدرسة، الجامعة، شقة الحرية.
 - الأمكنة الفرعية: البحرين، السعودية، سوريا، العراق، بيروت، فقد ركز غازي على القاهرة بكل ما اشتملت عليه من جامعة، وأماكن حضارية،

- ونهر النيل، والمدرسة، وأمكنة اللهو والتسلية، وبصورة أقل على ذكر البحرين، والسعودية، وسوريا، وأمريكا، والسودان.
- تنوع دلالات المكان وأبعاده ساعد على إخراج العمل الروائي في صورة فنية متكاملة.
 - ربط الكاتب المكان بالمجتمع الذي يعيش فيه الأشخاص، ولغتهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، فعبّر عن الوضع الاجتماعي والثقافي والديني المختلف لتلك الشخصيات.
 - كان لعنوان الرواية أثر كبير في استخراج تلك الدراسة ليدل على اهتمام الكاتب بعنصر المكان، ويدل على موهبته الكبيرة.
 - كان للأسلوب الأدبي، وقدرة الكاتب على تنوع أساليب السرد والحوار، وتنوع الشخصيات في تلك الرواية، وبراعته في الوصف للأمكنة، دور كبير لتمرير رؤية وأفكار الكاتب وقناعاته الشخصية للقارئ بأسلوب فني محكم.
 - حظيت تلك الرواية على اهتمام كبير من النقاد والقراء، نظراً لأهمية موضوعها الذي يتناول فيه قضية شائكة في تلك الفترة ومازالت، وهو البحث عن الحرية التي يختلف مفهومها من شخص إلى آخر، وإلى حد يمكن أن تحدد درجة تلك الحرية.
 - يمكن أن نؤكد على أن القصصي استطاع أن يوظف المكان توظيفاً حيويًا وفنيًا، ووضح دوره الرئيس في العمل الروائي.
 - تنوعت الأحداث والقضايا بحسب الأمكنة، وبدأ الرواية بسفره من البحرين إلى القاهرة، وهذا يعد الحدث الرئيس والجوهري لتغير الأمكنة وارتباطها.
 - تقترب تلك الرواية من سمات السيرة الذاتية، فكثيراً ما نجد شخصية الكاتب هي التي تروي تفاصيل الأمكنة، وتقوم باقي الشخصيات بالكشف عن الشخصية الرئيسية لفؤاد أو بمعنى أدق شخصية غازي القصيبي.

والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم.
- رواية شقة الحرية، غازي القصيبي، رياض الريس، ط ٥، ١٩٩٩م

المراجع:

- أدباء خليجيون مميزون . غازي القصيبي . مكى محمد سرحان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط ١ ١٩٩٨م.
- الأدب وفنونه، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، مصر، ط ٦، ١٩٧٦م.
- استعادة المكان دراسة في آليات السرد والتأويل، محمد مصطفى علي حسنين، دائرة الثقافة والإعلام، الإمارات العربية، ٢٠٠٤م.
- البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، أحمد مرشد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط ١.
- بنية الشكل الروائي: الفضاء- الزمان - الشكل، حسن بحرأوي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط ١.
- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى محمد الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، وكريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية ط ١، بيروت ٢٠٠٧م.
- التحليل البنيوي للرواية العربية، فوزية لعيوس غازي الجابري، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١١م.
- التنمية... الأسئلة الكبرى، غازي عبد الرحمن القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٩٢م.
- حديقة الغروب، غازي القصيبي، ط ١، العبيكان ٢٠٠٧م.

- حكاية اسمها غازي القصيبي، كمال عبد القادر، دار مدارك للنشر ط ٢٠١١م.
- حياة في الإدارة، غازي القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ٢٠٠٦م.
- جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة عبد الرحيم حز، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣م.
- جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٠م.
- جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، أسماء شاهين، دار الفارس للنشر والتوزيع الأردن، ط ١، ٢٠٠١م.
- جماليات المكان في الشعر العربي المعاصر، قادة عفاق، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٢م.
- دراسة في فن الرواية العراقية، ياسين النصير، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٠م.
- الرؤي الثورية في القصة والرواية قراءات نقدية في نماذج مصرية (١٩٨١-٢٠١١)، أحمد كريم بلال، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٥م.
- الرواية السعودية حوارات وأسئلة وإشكالات، طامي السمييري، دار الكفاح، ٢٠٠٩م.
- الرواية العربية البناء والرؤيا مقارنة نقدية، سمر روجي فيصل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.
- الرواية والمكان دراسة المكان الروائي، ياسين النصير، سوريا دمشق، ط ٢، ٢٠١٠م.
- سيرة شعرية، غازي القصيبي، تهامة للنشر والمكتبات، ط ٣، ٢٠٠٣م.

- سيكولوجية الشخصيات الروائية، هاملون فليب، ترجمة: سعيد بن كراد، دار الكلام، الرباط، المغرب، ط ١، ١٩٩٠م.
- شخصيات قيادية غازي القصيبي الإداري القائد، أمل الحمدان، وفدوى العساف، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض.
- شعر الأطفال في الوطن العربي دراسة تاريخية نقدية، بيان الصفدي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق، ط ١، ٢٠٠٨م.
- شعرية الفضاء السردي، حسين نجمي، المركز الثقافي العربي ط ١، ٢٠٠٠م
- شعرية المكان في الرواية الجديدة، خالد حسين، مؤسسة الإمامة الصحفية، الرياض ١٤١٢هـ.
- الصحاح في اللغة والعلوم، الجوهري، تقديم: عبد الإله العلايلي، إعداد: نديم مرعشلي، وأسامة مرعشلي، مادة روى، دار الحضارة العربية بيروت.
- فن الرواية في المملكة العربية السعودية، السيد محمد ديب، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٥م.
- فن القص، نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب القاهرة.
- في حوارية الرواية دراسة في السردية التونسية، محمد القاضي، دار سحر للنشر المغرب، ٢٠٠٥م.
- في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط ٢٠٠٥م.
- قراءة في جوانب الراحل د. غازي القصيبي الإنسانية، حمد بن عبد الله القاضي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط ٤ الرياض ٢٠١٣م.
- قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، صلاح صالح، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط ١، القاهرة، ١٩٩٧م.
- لسان العرب، ابن منظور، مادة (مكن)، دار صادر، ط ١، ١٩٩٠م.

- معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة، ط٢، ١٩٨٩م.
 - معجم العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
 - معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
 - مع ناجي ومعها، غازي القصيبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٩٩م.
 - المكان ودلالته، ليوري لوتمان، ترجمة سيزا قاسم، القاهرة ١٩٨٦م.
 - منطق السرد دراسة في القصة الجزائرية الحديثة، عبد الحميد يورايو، منشورات السهل الجزائرية، ٢٠٠٩م.
 - مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، مجلد ٤.
 - المكان في الرواية البحرينية، فهد حسين، دار فراديس للنشر والتوزيع، ط١، البحرين ٢٠٠٣م.
 - نقد الفنون السردية وطرق تحليلها وتدريبها، السرد في الأدب العربي، محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع حائل، ط١، ٢٠٠٢م.
- الرسائل العلمية:**
- الرؤية والبنية في روايات زياد قاسم، منتهي الحراحشة، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت الأردن، ٢٠٠٠م.
- الصحف والدوريات:**
- اتجاهات الرواية السعودية في الحقبة الأخيرة، محمد الشنطي، ملف نادي القصيم الأدبي.
 - أمريكا والسعودية، غازي القصيبي، حملة إعلامية أم مواجهة سياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ٢٠٠٢م.

- أيلاف، الشاعر السعودي محمد خضير العدد (٨٢٨١)، ديسمبر ٢٠٢٣م.
- الجزيرة، سليمان العيسى، العدد (١٣٨٣٦)، ١٤٣١هـ.
- حادثة النص الشعري في المملكة العربية السعودية، عبد الله أحمد الفيفي، نادي الرياض الأدبي، الرياض، ٢٠٠٥م.
- الرواية العربية كفن من الفنون، سيد حامد النساج، مجلة الفيصل، العدد ٣٨، ١٩٨٠م.
- سيرة ذاتية روائية، ضياء عبد الله خميس الكعبي، صحيفة أخبار الخليج، العدد ١٣١٤١٣، ديسمبر ٢٠١٤م.
- الشعر العربي الحديث بنياته وبدالاتها، محمد بنيس، مجلة العربية، جزء ٣.
- عكاظ، أدباء ونقاد وإعلاميون: غازي القصيبي لم يمت، ٥/مارس/٢٠٢١م.
- عكاظ غازي القصيبي ويبقى الأثر، ٢٧/٣/٢٠٢٣م.
- غازي القصيبي، معتصم السدمي، مجلة المبتعث، ٢٠١٠م، العدد ١٩١.
- غازي القصيبي روائياً، سمير أحمد الشريف، ص ٣٨، مجلة الجوبة، العدد (٢٩) ٢٠١٠م.
- غازي القصيبي شاعراً، عمار الجندي، مجلة الجوبة، العدد (٢٩) ٢٠١٠م.
- غازي القصيبي القامة الفكرية والأدبية والإدارية الكبيرة، عبد المجيد إبراهيم قاسم، مجلة الرافد الإلكترونية.
- غازي القصيبي ومعاركه الفكرية في الأدب والحياة، محمد معاطي، مجلة المبتعث، ٢٠١٠م العدد (١٩١).
- فاعلية المكان في بناء القصيدة عند ذي الرمة، أمل طاهر نصير، مجلة الملك سعود ٢٠٠٣م.

- فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر، نادي جيزان الأدبي، ط١، ١٤١١هـ.
- في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة الكويت، ١٤١٩هـ.
- قراءات في الرواية السعودية، حسن النعمي، النادي الأدبي جدة، ١٤٤٢هـ.
- المكان ذاكرة الوجد، مني المالكي، جريدة عكاظ، الاثنين ٢٨ مارس ٢٠٢٢م.

almasadiri:

- alquran alkarim.
- riwayat shaqat alhuriyati, ghazi alqasaybi, riad alrays, ta5, 1999m

almarajie:

- 'udaba' khalijiuwn mumayazun ghazi alqusaybi makiy muhamad sarhan, almuasasat alearabiat lildirasat walnashr bayrut tu1 1998m.
- al'adab wafununuhi, eizi aldiyn 'iismaeili, dar alfikr alearabii, masr, ta6, 1976m.
- aistieadat almakan dirasat fi alyat alsard waltaawila, muhamad mustafi eali hasanin, dayirat althaqafat al'ielami, al'amarat alearabiatu,2004m.
- albinyat waldilalat fi riwayat 'iibrahim nasr allah, 'ahmad murshid, almuasasat alearabiat lildirasat walnashr bayrut, ta1.
- biniat alshakl alriwayiy: alfada'a alzaman alshakl, hasan bahrawi, almarkaz althaqafiu alearabia, bayrut lubnan, ta1.
- biniat alnasi alsardii min manzur alnaqd al'adbi, humayd lihamdani, almarkaz althaqafiu alearabia, bayrut, ta1, 1991m.
- taj alearus min jawahir alqamus, muhamad murtadaa muhamad alhusayni alzubaydi, tahqiq eabd almuneim khalil 'iibrahim, wakarim sayid muhamad mahmud, dar alkutub aleilmiat ta1, bayrut2007m.
- altahlil albinyawiu lilriwayat alearabiati, fawziat lieuyus ghazi aljabri, dar safa' llnashr waltawziei, ta1, 2011m.
- altanmia ...al'asyilat alkubraa, ghazi eabd alrahman alqusaybi, almuasasat alearabiat lildirasat walnashri, ta1, 1992m.
- hadiqat alghuruba, ghazi alqusaybi, ta1, aleabikan 2007m.
- hikayat asmuha ghazi alqasaybi, kamal eabd alqadir, dar madarik llnashr tu2 2011m.
- hyat fi al'idarati, ghazi alqasaybi, almuasasat alearabiat lildirasat walnashr bayrut 2006m.
- jamaliaat almakani, ghastun bashlar, tarjamat eabd alrahim hiz, almajlis al'aelaa lilthaqafati, alqahirati, ta1, 2003m.
- jamaliaat almakani, ghastun bashlar, tarjamat ghalib hilsa, wazarat althaqafat wal'ielami, baghdad 1980m.
- jamaliaat almakan fi riwayat jabra 'iibrahim jibra, 'asma' shahin, dar alfaris llnashr waltawzie al'urduni, ta1, 2001m

- jamaliaat almakan fi alshier alearabii almueasiri, qadat eaqaqi, dar algharb lilnashr waltawziei, ta2002m.
- dirasat fi fani alriwayat aleiraqiati, yasin alnusayri, dar alhuriyat liltibaeati, baghdad 1980m.
- alruwuy althawriat fi alqisat walriwayat qira'at naqdiat fi namadhij misria (19812011), 'ahmad karim bilal, dar almanahij lilnashr waltawziei, al'urduni, 2015m.
- alriwayat alsueudiat hiwarat wa'asyilat wa'iishkalatu, tami alsimiri, dar alkifahi,2009m.
- alriwayat alearabiat albanaa' walruwya muqarabat naqdiatun, samar ruhiun fayusalu, atihad alkitaab alearabi, dimashqa, 2003m
- alriwayat walmakan dirasat almakan alriwayiy, yasin alnusayri, suria dimashqa, ta2, 2010m.
- sirat shieriatun, ghazi alqsaybi, tihamat lilnashr walmaktabati, ta3, 2003mi.
- sikulujiat alshakhsiaat alriwayiyati, hamrun filib, tarjamatu: saeid bin karadi, dar alkalami, alribati, almaghribi, ta1, 1990m.
- shakhsiaat qiadiat ghazi alqusaybi al'iidarii alqayidi, 'amal alhamdan, wafadwaa aleasaafi, , jamieat al'iimam muhamad bin sued al'iislatmiat alriyad.
- shaer al'atfal fi alwatan alearabii dirasat tarikhiaat naqdiatun, bayan alsafadi, manshurat alhayyat aleamat alsuwriat lilkitab dimashqa, ta1, 2008m.
- shaeriat alfada' alsardi, husayn najmay, almarkaz althaqafii alearabii ta1, 2000m
- shaeriat almakan fi alriwayat aljadidati, khalid husayn, muasasat alyamamat alsahafiati, alriyadu1412h.
- alsihah fi allughat waleulumi, aljawhari, taqdimu: eabd al'iilah alealayli, 'iiedadu: nadim miraeashili, wa'usamat maraeashili, madat ruua, dar alhadarat alearabiat bayrut.
- fn alriwayat fi almamlakat alearabiat alsaeudiati, alsayid muhamad dib, almaktabat al'azhariat liltarathi, alqahirati, ta2 ,1995m.
- fin alqas, nabilat 'iibrahim, maktabat gharib alqahirati.
- fi hiwariat alriwayat dirasat fi alsardiat altuwnusiati, muhamad alqadi, dar sahar lilnashr almighribi,2005m.
- fi nazariat alriwayat bahath fi tiqniaat alsarda, eabd almalik murtadi, dar algharb lilnashr waltawziei, aljazayir, ta2005m.

- qara'at fi jawanib alraahil du. ghazi alqusaybi al'iinsaniati, hamd bin eabd allah alqadi, maktabat almalik fahd alwataniati, ta4 alriyad 2013m.
- qadaya almakan alriwayiyi fi al'adab almueasiri, salah salih, dar sharqiaat llnashr waltawziei, ta1, alqahirati, 1997m.
- lisan alearabi, abn manzurin, mada (mkina), dar sadir, ta1, 1990m.
- muejam 'alfaz alquran alkarim, alhayyat almisriat aleamatu, ta2, 1989m.
- muejam aleayni, alxhalil abn 'ahmad alfarahidii, dar alkutub aleilmiati, bayrut lubnan, ta1, 2003m.
- maejam mustalahat naqd alriwayati, latif zituni, maktabat lubnan nashiruna, bayrut, ta1, 2002m.
- mae naji wamieaha, ghazi alqasaybi, almuasasat alearabiat lildirasat walnashr bayrut, 1999m.
- almakan wadalalatuhi, liuri lutman, tarjamat siza qasmi, alqahirat 1986m.
- mantiq alsard dirasat fi alqisat aljazayiriat alhadithati, eabd alhamid yurayu, manshurat alsahl aljazayiriat, 2009m.
- maqayis allughati, 'ahmad bin faris, tahqiq eabd alsalam muhamad harun, dar alfikri, mujalad 4.
- almakan fi alriwayat albahriati, fahad husayn, dar faradis llnashr waltawziei, ta1, albahrayn 2003m.
- naqd alfunun alsardiat waturuq tahliliha watadrisiha, alsard fi al'adab alearabii, muhamad salih alshanti, dar al'andalus llnashr waltawzie hayl, ta1, 2002m.

alrasayil aleilmiatu:

- alruwyat walbinyat fi riwayat ziad qasimi, muntahi alharahishati, risalat majistir, jamieat al albayt al'urdunu, 2000m.

alsuhuf waldawryaati:

- atijahat alriwayat alsueudiat fi alhiqbat al'akhirati, muhamad alshanti, milafu nadi alqasim al'adbi.
- 'amrika walsaeudiat, ghazi alqasaybi, hamlat 'iielamiat 'am muajahat siasiatun, almuasasat alearabiat lildirasat walnashrutu3, 2002m.
- 'aylafi, alshaeir alsueudii muhamad khudayr aleadad (8281), disambir 2023m.
- aljazirati, sulayman aleisi, aleadad (13836), 1431hi.

- hadathat alnasi alshierii fi almamlakat alearabiat alsueudiati, eabd alllh 'ahmad alfifi, nadi alriyad al'adbi, alrayad, 2005m.
- alriwayat alearabiat kafanin min alfununi, sayid hamid alnasaji, majalat alfaysal, aleudadi38, 1980m.
- sirat dhatiat riwayiyatun, dia' eabd allah khamis alkaebi, sahafat 'akhbar alkhaliij, aleadad 131413, disambir 2014m.
- alshier alearabiu alhadith binayatih wabadalatiha, muhamad binisi, majalat alearabiati, juz'un3.
- eakazi, 'udaba' wanuqaad wa'ielamiuwna: ghazi alqusaybii lam yamuta, 5/mars/2021m.
- eakaz ghazi alqusaybi wayabqaa al'athra, 27/3/2023m.
- ghazi alqasaybi, muetasim alsidmi, majalat almubtaeathi, 2010ma, aleudadi191.
- ghazi alqusaybiu rwayyaan, samir 'ahmad alsharifi, sa38, majalat aljawbati, aleadad (29) 2010m.
- ghazi alqusaybiu shaeraan, eamaar aljinidii, majalat aljawbati, aleadad (29) 2010m.
- ghazi alqusaybi alqamat alfikriat wal'adabiat wal'iidariat alkabiratu, eabd almajid 'iibrahim qasima, majalat alraafid al'iilikturuniati.
- ghazi alqusaybi wamaearikuh alfikriat fi al'adab walhayati, muhamad maeati, majalat almubtaeathi, 2010m aleadad (191).
- faeiliat almakan fi bina' alqasidat eind dhi alrimat, 'amal tahir nusayra, majalat almalik sueud 2003m.
- fn alriwayat fi al'adab alearabii alsueudii almueasiri, nadi jizan al'adbi, ta1, 1411hi.
- fi nazariat alriwayati, eabd almalik murtadi, ealam almaerifat alkuayt, 1419hi.
- qara'at fi alriwayat alsueudiati, hasanalnaemi,alnaadi al'adabii jadat, 1442hi.
- almakan dhakirat alwajae, miniy almaliki, jaridat eakazi, aliathnayn 28mars 2022m.